التاريخ... امرأة

لقطات من حياة ٥٠ امرأة ساهمن في مسيرة تطور الحضارة الإنسانية



منى رجب



التاريخ... امرأة

لقطات من حياة [٥٠] امرأة
ساهمن في مسيرة تطور الحضارة الإنسانية

بقلم

م رجب

شاركت في الإعداد: د. أمل عزت

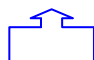
الإهداء

إلى كل امرأة تساهم بفكرها

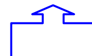
أو بعملها أو بإبداعها

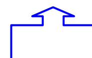
في مسيرة التقدم والتنوير في وطني...

منى رجب



الفهرس





المقدمة

المرأة.. النصف الآخر للإنسانية.. هي في الحقيقة نصف ساهم في صنع التاريخ.. إلا أن رصد دورها منذ فجر البشرية لم يتم بشكل شامل وكامل حتى هذه اللحظة.. بل إن حقيقة دورها لم تكتب حتى الآن.. لذلك فإن تقديم دورها في مسيرة البشرية كان ضرورة لا بد منها.. ولا، هذا العمل ضخم ويحتاج إلى جهد كبير.. فلقد كان لا بد لمن يضطلع به أن يكون مؤمنًا به إلى أقصى درجات الإيمان.. ومقتنعا بهذه المهمة الشاقة إلى أقصى درجات الاقتناع.. ولقد كان يراودني هذا الحلم الكبير منذ سنوات.. أن أتمكن من الكتابة عن النصف الآخر للبشرية.. أي إن أقدم بانوراما لأبرز النساء اللاتي شاركن في صنع التاريخ ولكن من خلال أسلوب محبب يقبل عليه القارئ.. ويستفيد منه الآخرون.. أردت أن أقدم جزءا من الحقيقة المنسية التائهة في أعماق كهف الزمان والتي لم يكترث بتقديمها الرجل بصورة متسعة باتساع خريطة العطاء النسائي للبشرية.. ولأن المرأة ظلت حتى وقت قريب لا تتكلم.. فمعنى أن تتكلم أنها ستفصح عن الكثير مما لا نعرفه سواء أكان ذلك نثرا أو شعرا.. وهنا محاولة للكلام عما خفي من دورها.. وعبقريتها.. وبصماتها على وجه الزمن..

ولقد استغرق مني هذا العمل ١٣ عاما ليرى النور بدءا من جمع المادة اللازمة له من مختلف المصادر.. والقراءة المتأنية وفحص كل ما كان يقع تحت يدي بحكم اهتمامي بالموضوع من كتب ومراجع وصحف ومجلات سواء كان ذلك باللغة العربية أو الأجنبية.. حتى قصاصات الصحف لم أغفلها.. خلال هذه الفترة في بحث دءوب ومتأني.

ثم بدأت مرحلة غربلة المادة.. وتركيزها.. ثم جاءت مرحلة اختيار الشخصيات الصالحة للتقديم في هذا الجزء الأول الذي بين يدي القارئ.. والذي سيليه جزء ثانٍ بإذن ا . ثم كتابة كل هذا بعد معايشته في قالب مناسب.. وقد اخترت الأسلوب السهل في الكتابة ليناسب الكتاب مختلف الأعمار.. ولدهشتي وجدت أنه حتى الصفحات التي كبتتها امرأة خلال السنوات الماضية وبعد دخول المرأة مجال الأدب والكتابة عن أدوار النساء عبر مسيرة الحضارة الإنسانية فإنها كانت قليلة ولم تكن كافية أو شاملة ولهذا كانت دائما الصورة الكاملة غائبة... وكانت الحقيقة الكاملة ناقصة.. وكانت الخريطة غير مرسومة بدقة..

أما الكتب الأجنبية عن النساء العظيمات فإنها ناقصة وقليلة.. وتركز على دور المرأة الغربية فقط.. أما دور المرأة العربية والمسلمة فجرت بعض محاولات متفرقة للكتابة عنها إلا

أنها أيضا لم توضع على الخريطة العامة للتاريخ.. وذلك على الرغم من أن الإسـلام حينمـا جاء بنوره على الأرض أتاح لها أن تكون سباقة في كافة ميادين القتـال والهجـرة والعمـل والأدب والعلم.

وحتى الآن لم أجد كتابا شاملاً يجمع أهم أدوار النساء بلا انحياز لشرق أو غرب. شمال أو جنوب.. وأحس أنه يشبع لدي المعرفة التي أبغيها.

لهذا أخذت على عاتقي تحقيق هذا الحلم الكبير والشاق أيضا وهو إصدار كتاب يـضم بين صفحاته أهم أدوار النساء من فجر البشرية.. ويجمع أعظم النساء من كل مكان دون تحيز لدين أو جنس أو لون.. وفقًا لاختياري الشخصي ومرجعه الإحساس بعظمة إنجازاتهن...

وهكذا أخذت قلمي وارتحلت في رحلة ممتعة وشاقة في آن واحد للاستكـشاف بـداخل نهر التاريخ فتجولت بعيون المرأة باحثة عن السباقات والرائدات في كل مجال.. بحثت بعيون محبة مليئة بالحماس والإيمان ولكنها عين عادلة ومنصفة تعيد إليها بصماتها الممسوحة منـذ مصر الفرعونية وإلى القرن الأول الهجري ومرورا بالقرن الثامن عشر وحتى اللحظة الراهنة في نهاية القرن العشرين..

سبحت معها في بحار الغربة وحلقت معها في الفضاء ودخلت معها إلى كهوف المعاناة والقهر وصحبتها في ثوراتها ضد الظلم والتخلف... وعايشتها كزعيمة تحـارب الدكتاتوريـة والاستعمار وحملت معها راية الحرية.. وذهبت معها لأعرف قضاياها الـصعبة والـشائكة.. وعايشت اختراعاتها العلمية وإبداعاتها الفكرية كما تابعتها عبر الـسنوات لأعـرف قفزاتهـا السياسية ومناظراتها الأدبية وعذاباتها النفسية.

ووجدت في كل قصة من القصص أسطورة تـستحق أن تـروى للأجيـال الحاضـرة والقادمة.. فما من إنجاز إلا وراءه قصة نضال وكفاح وإرادة وإصرار وإيمان.. وهي مثـال يحتذى به.. وما من حكاية إلا كان يساندها هدف نبيل تسعى إليه كل واحدة منهن...

وأبدا لم يكن هدفي تقديم التاريخ بشكله المعروف إنما أنا أقدم لقطات أدبية من التـاريخ مكتوبة بصدق وبحب وبأمانة..

ولقد اخترت في هذا الكتاب أن أقدم خمسين امرأة من أعظم النساء على مر التـاريخ.. بينها سمات مشتركة:

أولاً: السبق في أحد مجالات الحياة المتعددة..

ثانيا: تقديم إنجاز عظيم للبشرية.

ثالثًا: وجود هدف نبيل وراء الإنجاز الذي تم...

رابعا: إن كل واحدة من هؤلاء النساء هي في حد ذاتها قدوة للأجيال من بعدها ونموذج للعطاء للآخرين ولقوة الإرادة الفذة..



ولا بد أن أسجل أيضا بأن أية امرأة يضمها هذا الكتاب كان طريقها محفوفًا بالأشواك والعراقيل والمعارك والحواجز والسدود.. فمنذ فجر التاريخ كان الجنس الأقوى هو الرجل.. وكان الجنس الذي يتمتع بكل المميزات هو الرجل..

وكان الجنس الذي يسيطر على مقاليد الحياة هو الرجل.. أما المرأة فنادرا ما نالت حقوقها الإنسانية.. ولم تقدم لها حقوقها ككيان مساوٍ للرجل إلا بعد نضال عنيد وجهد مستمر وثورات ملتهبة وتضحيات فادحة.. بل إن المساواة الكاملة معه لم تتحقق حتى هذه اللحظة..

وكان الدور الوحيد المسموح لها يحدده الرجل في معظم الأحيان.. فرغم أن حق التصويت مثلاً قد حصلت عليه المرأة في أمريكا في عام ١٩٢٠. إلا أنه في خلال الثمانين عاما الماضية نجد أن معظم النساء في كافة أنحاء العالم ليس لهن صوت انتخابي وغالبيتهن إما أميات أو يعانين من الفقر ومن عدم سماع صوتهن..

ورغم أنه في مصر مثلاً حصلت المرأة على أول قانون للأحوال الشخصية في عام ١٩٢٩ إلا أن تطوير القوانين لتكون أكثر عدالة للمرأة استغرق أكثر من ٥٦ عاما.. وما تزال تأمل المرأة المصرية حتى الآن في تطوير القوانين لتصل بها إلى المساواة التامة مع الرجل..

ورغم أن المرأة العربية قد تقلدت مناصب هامة ومتميزة فهي سفيرة ووزيرة وعالمة ذرة إلا أن المناصب التي تتبوأها ما تزال تنالها بعد نضال طويل وهي أحوال استثنائية وحالات متفردة وليست من الأمور البديهية.. كما أن نسبة الأمية والفقر ما تزال كبيرة ومؤلمة في معظم البلدان العربية.. ورغم أن المرأة في صدر الإسلام نالت أعظم تكريم واعتراف بمكانتها من قبل محمد رسول ا ﷺ إلا أن وصول المرأة المسلمة حتى الآن إلى منصب سياسي رفيع ما يزال أمرا صعبا..

ولن ننسى أيضا المرأة الفرعونية.. التي كان لها بصمة مؤثرة لم تنلها إلا بعد مشقة. وبفضل دهائها وذكائها كما سنرى بين صفحات الكتاب..

ورغم أن المرأة مع نهاية القرن العشرين قد قفزت في بعض المجالات قفزات واسعة.. فإن معظم النساء في كافة أنحاء العالم ما يزال أمامهن طريق طويل وشاق وعمل مضن يحتاج إلى تكاتف كل الجهود المتحضرة هنا وهناك.. حتى تصبح النساء في مكانة متساوية مع الرجال..

أما في مصر فلقد استطاعت المرأة أن تخطو إلى الأمام خطوات كبيرة، ولا ننسى جهود السيدة سوزان مبارك في مساندة مسيرة المرأة في كل مجال بدءا من إنشاء لجنة المرأة والطفل.. وإلى الاهتمام بشئونها الثقافية والصحية وأيضا الاهتمام بأطفال مصر.. ولقد كان مشروع "القراءة للجميع" مشروعا عظيما للمساهمة في تنمية العقول وتأسيسها على أساس سليم..



وها هو مشروع "مكتبة الأسرة" تحت رعايتها يتطور ليصبح مشروعا قوميـا عملاقًـا يساهم في حركة الثقافة المصرية اليوم وغدا وتشارك فيه الأقلام الواعية ومن مثقفـي مـصر من مختلف الاتجاهات والأجيال.. تحت قيادة مايسترو مثقف هو د. سمير سرحان..

ولذلك فإنني هنا أشارك بقلمي في هذا المشروع العملاق بدعوة كريمة من قائد كتيبـة مكتبة الأسرة..

وها أنا أقدم جهدا متواضعا من خلال الجزء الأول من هذا الكتاب "التاريخ امرأة" والذي يضم ٥٠ امرأة عبقرية صنعن التاريخ وشاركن في مسيرة الحضارة الإنسانية مـن مختلـف أنحاء العالم. والذي سيتلوه جزء ثاني يصدر قريبا بإذن ا .

ولقد استخدمت الترتيب الأبجدي في ترتيب الأسماء.. فمن أنديرا غانـدي أول رئيـسة وزراء لدولة آسيوية كبرى هي الهند إلى أجاثا كريستي الملكة المتوجة على عـرش الروايـة البوليسية فهي الكاتبة الأكثر مبيعا في العالم إلى إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا التي جعلتها قوة عظمى والإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس إلى أم كلثوم المصرية أعظم فنانة في تاريخ الوطن العربي إلى أم كلثوم بنت عقبة المهاجرة إلى ا وصاحبة أجرأ موقف فـي الإسـلام لامرأة.. إلى بيرل باك صاحبة جائزة نوبل في الأدب والكاتبة الأمريكية الشهيرة فـي القـرن العشرين، إلى الإنجليزية أوجستا إدا بيرون صاحبة لغة الكمبيوتر الـشهيرة أدا.. إلـى بلفـا لوكوود الأمريكية المحاربة من أجل حقوق الإنسان، إلى بنازير بوتو الباكستانية أول رئيـسة وزراء لدولة إسلامية إلى الزعيمة السيريلانكية بندرانيكا أول رئيسة وزراء في التاريخ إلـى المصرية بنت شهاب الدين أول امرأة تتولى منصب رئيسة الأطباء بدار الـشفاء بالقـاهرة... إلى الملكة تي أم أخناتون التي سجل لها التاريخ أنها وراء أول ثورة حـضارية فـي تـاريخ الإنسان في مجال الدين.. وهي الدعوة إلى عبادة الإله الواحد.. إلى الأم تيريزا أم الفقراء في العالم وصاحبة جائزة نوبل في السلام إلى جان دارك بطلة فرنسا القوميـة ومنقـذتها.. إلـى جميلة بو باشا رمز ثورة التحرير الجزائرية.. إلى الإنجليزية جورج آليوت أول كاتبة لرواية واقعية فكرية.. إلى حفصة بنت عمر المرأة التي وقع عليها الاختيار لتؤدي أنبل مهمـة فـي تاريخ الإسلام وهي حفظ صحف القرآن الكريم إلى حنان عشراوي وجه قضية شعب فلسطين والمرأة التي أصبحت لسان حال الشعب الفلسطيني إلى العالم.. إلى الخنساء أعظم شاعرة في الإسلام.. إلى المقاتلة الإسلامية خولة بنت الأزور والفارسة التي شاركت في الحرب بجـوار القائد خالد بن الوليد في معركة اليرموك.. إلى ديانا أميرة القلوب في القرن العـشرين التـي تحولت إلى أسطورة شعبية عالمية إلى الهندية راما باي ميدا هي منقذة نساء الهند من القهـر والظلم إلى الروسية سافيتلانا أول سيدة تسبح في الفضاء.. إلى السيدة سـكينة صـاحبة أول صالون أدبي في الإسلام والنموذج الفريد للمرأة المسلمة المثقفة.. إلى اللبنانية سلوى نـصار



أول عالمة ذرة وتاسع امرأة في العالم في هذا التخصص إلى العالمة الفرنسية صوفي چيرمان التي دخلت إلى عالم الرياضيات فأسهمت بنظرية علمية جديدة على أساسها شيد برج إيفـل.. إلى الروسية فالنتينا ترشيكوفا.. أول امرأة تدور في مركبة فـضائية حـول الأرض.. إلـى الروسية كاترين كوستا نيتنوفا أم الثورة الروسية.. إلى الألمانية كارولين هيرشيل مؤسسة علم الفلك الحديث.. إلى الأيرلندية كونستانس ماركيويز.. أول وزيرة في أوروبا.. إلـى الفلبينيـة كورازون أكينو زعيمة ثورة الشعب الفلبيني ومحطمة الدكتاتورية.. إلى العالمـة المـصرية سميرة موسى أول عالمة ذرة مصرية.. إلى سمية بنت خياط أول شهيدة في الإسـلام.. إلـى سونيا كوفالسكي أول عالمة تتخصص في مجال الرياضة التحليليـة وتحـصل علـى أعلـى الدرجات العلمية فيها.. إلى الأمريكية شارلوت بركنز رائـدة علـم الاجتمـاع والمـصلحة الاجتماعية البارزة.. إلى الإنجليزية شارلوت برونتي رائدة الرواية النفسية.. إلى أول ملكة في الإسلام شجرة الدر والتي حكمت مصر ثمانين يوما.. إلى الشفاء بنت عبـد ا القرشـية أول طبيبة تعالج الأمراض الجلدية في تاريخ الإسلام..

إلى الصينية شنجلنج سونج صن محررة المرأة الـصينية.. وضـمير الـصين.. إلـى البريطانية مارجريت تاتشر المرأة الحديدية في القرن العشرين أشهر زعيمة سياسية أوروبيـة في القرن العشرين.. إلى مارجريت ميتشيل أشهر كاتبة في القرن العشرين بروايتها التاريخية الأكثر شهرة "ذهب مع الريح".. إلى ماري كوري العالمة الفرنسية الشهيرة مكتشفة الراديوم.. إلى الإيطالية ماريا مونتسوري أول طبيبة تعالج الإعاقة الذهنية عند الأطفال..

إلى مي زيادة الأديبة العربية البارزة صاحبة أشهر صالون أدبي في القرن العـشرين.. إلى الرومانية نادية كومانشي الأسطورة الرياضية وبطلة الجمباز التي قهـرت التكنولوجيـا.. إلى نسيبة بنت كعب الأنصارية المدافعة العظيمة عن الرسول ﷺ في قلب معركة أحد.. إلـى السيدة نفيسة أول صوفية في الإسلام والفقيهة الإسلامية العظيمة.. إلى المغربية نوال المتوكل البطلة الرياضية وأول عربية تحصل على ميدالية ذهبية في تاريخ الأولمبياد.. إلى الأمريكيـة هارييت توبمان محررة الزنوج في أمريكا.. إلى المصرية هدى شـعراوي زعيمـة المـرأة المصرية ومحررتها من القهر والظلم الاجتماعي..

كل واحدة من هؤلاء كانت لي معها رحلة حب ممتعة.. إذ تتبعت خطواتها.. وعانيـت عذاباتها وعايشت معاناتها.. وفرحت بانتصاراتها.. وشاركتها إنجازاتها...

فهيا نرتحل معا لأن التاريخ.. ليس رجلاً فقط.. إن التاريخ في... امرأة أيضا... امرأة سباقة.. زعيمة رائدة.. عالمة.. أديبة.. مكتشفة.. مناضلة.. محاربة.. مقاتلة.. لـم ينـصفها الرجل في كتابته للتاريخ لأنه كان حتى وقت قريب لا يكترث بدورها..



فليصحبني القارئ لنقلب معا في مغامرة جديدة مع مسيرة كل امرأة من هـذه النمـاذج البطولية العظيمة.. ولسوف يجد أنني كتبتها بقلب محب، وبعيون متعاطفة لكنها أيضا عيـون منصفة وعادلة.. تدخل في قلب الحقيقة لتقدمها للقارئ بكل الصدق.. وكل تجربة قد لا تكـون صاحبتها ذاقت حلاوة النجاح وعظمة الإنجاز وقد لا تكون قد قطفت ثمرة جهودها ولا شهدت انتصاراتها أو تكريمها ولهذا فإنني هنا أحتفل بها على طريقتي وبقلمي.. فأعيد إلـى الـذاكرة دورها وأكتب صفحة مضيئة صنعتها امرأة ما للبشرية..

فيا أيتها المصرية والعربية تقدمي لتشاركي في مسيرة التقدم والتطور المقبلة مع القرن الواحد والعشرين.

خذي القدوة من جداتك العظيمات واستلهمي منهن الدور والهدف. وأيـضا الأمـل لأن السنوات الأخيرة من القرن العشرين كانت أفضل للمرأة من سابقتها.. ولكننا ما زلنا في حاجة إلى عمل كثير لنحقق المزيد من النجاحات ومن المساواة أيضا..

إن وراءنا ماضيا مشرقًا وأمامنا المستقبل يفتح ذراعيه فلنشارك في صنعه ولنجعله أكثر سلاما وعدالة ونورا وتطورا للإنسانية ولأبنائنا وأحفادنا وأيضا لبناتنا وحفيداتنا من بعدنا..

ويا أيها القارئ العزيز فلتصحبني في رحلتي مع المرأة ودورها فـي مـسيرة تطـور الحضارة الإنسانية، ولنكتشف معا جذورها الممتدة في عمق أرحم العطاء الإنساني...

فكل منها قصة تستحق أن تقرأ.. وكل منها مغامرة فذة جديرة بأن نرتحل معها..

منى رجب



الكاتبة الأكثر مبيعًا في العالم

تعتبر من أكثر الكتاب على مستوى العالم بأسره سواء نساء أو رجالاً رواجا في مبيعات كتبها؛ حيث لم يتسنى لامرأة أديبة أن نالت شهرتها فهي صاحبة الثمانين رواية والتي ترجمت إلى العديد من لغات العالم؛ حيث قرأها العديد من شعوب العالم المختلفة، وعلى امتداد الكـرة الأرضية، وقد بيع من رواياتها البالغة الثمانين تقريبا أكثر من خمسمائة مليون نسخة؛ وهـو يعتبر رقما قياسيا لم يبلغه كاتب من قبل؛ حيث يأتي وليم شكسبير في المرتبة الثانية بعدها.

ولدت أجاثا عام ١٨٩٠ من أب أمريكي الأصل يعيش في إنجلترا مع زوجتـه وطفليـه مادج ومونتي وتعتبر أجاثا هي ابنته الصغرى؛ حيث جاءت والفارق بينها وبين أصغر أخوتها ١٠ سنوات وكان والدها يعيش حياة أرستقراطية اعتمادا على وجود أملاك تخصه، ولكن بعد ولادة أجاثا بخمس سنوات واجهت العائلة ضائقة مالية اضطرتهم إلى السفر إلى جنوب فرنسا، وبعد أن بلغت أجاثا العاشرة من عمرها توفي والدها فقررت والدتها العـودة إلـى بريطانيـا والعيش في ظروف متواضعة على ما تبقى من أملاك الأسرة.

كانت شقيقتها مادج تقرأ كثيرا من الكتب وتؤلف بعض القطع الأدبية؛ حيث كانت تحلم بأن تكون كاتبة مشهورة فتعلقت أجاثا بهواية أختها وتجاربها وقد تحدتها شقيقتها يومـا بـأن قالت لها إنه من المستحيل أن تقرأ رواية بوليسية دون أن تعرف شخصية القاتل الحقيقية فـي منتصف الرواية.

قبلت أجاثا التحدي قائلة أنا أستطيع أن أكتب رواية بوليسية ولن تعرفي القاتل إلا فـي نهاية الرواية، وهكذا ولدت أول رواية بوليسية كتبتها أجاثا بعنوان "لغز جريمة ستايليس".

وقد رفضت دور النشر المختلفة نشر القصة ولكن أخيرا وبعد عام كامل وافقت إحداها وكان ذلك عام ١٩٢٠.

التقت أجاثا بشاب وسيم من سلاح الطيران الملكي يدعى أرسشيبلد كريـستي تزوجتـه وحملت اسمه الذي اشتهرت به وراحت تقوم برحلات إلى الشرق فزارت بغـداد واسـطنبول وحلب ودمشق وبعلبك ومدينة أور الأثرية؛ حيث التقت بعالم الآثار ماكس أدجار مالوان الذي كان يقدر مكانتها الأدبية ويحب قصصها كالتي بدأت في الانتشار، والذي كان قد قرأ كل مـا



كتبته وراح يبدي اهتماما بابنتها، وعند عودتها إلى إنجلترا طلقت من زوجها وتزوجت بماكس رغم أنه يصغرها بـ ١٥ عاما؛ حيث أخذ يشجعها ويدعمها في كتابتها وأحبهـا بـإخلاص، وهكذا بدأت في حياتها مرحلة جديدة من الاستقرار فبدأت في كتابة الروايات الكلاسيكية كمـا كتبت عدة مسرحيات ترجمت إلى العديد من اللغات، وتعتبر مسرحيتها "مصيدة الفئران" مـن أكثر المسرحيات التي ضربت رقما قياسيا في الاستمرار؛ إذ ظلت تعرض كـل ليلـة علـى المسرح لأكثر من ثلاثين عاما.

ثم أخذ المال يتدفق بين يديها فكانت كريمة مع الجميع خاصة ابنتها وزوجها وأصدقائها وحفيدها ماثيو ريتشارد الذي خصته بريع مسرحيتها الرائعة "مصيدة الفئران" كمـا أصـبحت بيت العائلة ووسعت من مساحتها وأنشأت حوله المدارس ومنتجعـات الراحـة والاسـتجمام. وعندما بلغت الخمسين من عمرها بدأت تكتب مذكراتها حتى عامها الخامس والسبعين توقفت بعدها قائلة "لم يعد هناك شيء هام يستحق التسجيل" وتوفيت عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز سـتًا وثمانين سنة وكانت لا تزال تحمل القلم في يدها، وكانت حقًا "ملكة القصة البوليـسية" التـي تمكنت من نشرها في جميع أنحاء العالم، والتي لاقت نجاحا عظيمـا علـى مـستوى جميـع الطبقات. وهكذا انتشرت قصص أجاثا كريستي في كافة أنحاء الأرض. كما تحول الكثير منها إلى أفلام سينمائية لقيت نجاحا هائلاً أيضا..



ملكة إنجلترا التـي جعلتها قوة عظمى

عندما اعتلت إليزابيث تيودور العرش كانت إنجلترا فـي أسـوأ أوضـاعها الـسياسية والاقتصادية؛ إذ كانت الخزانة الملكية مفلسة، وهي في حالة حرب مع فرنـسا، والانقـسامات الدينية الداخلية تشل الإرادة الوطنية وتشيع الاضطراب والتفكك بين طوائف الـشعب، لكـن إليزابيث الأولى استطاعت شخصيا أن تنهي الحرب الدائرة مع فرنسا بشروط أفـضل؛ ممـا توقع لها أحد كما ازدهرت الأحوال الاقتصادية ازدهارا ملحوظًا، وأما بالنسبة لمواطنيها فقـد أعطت معنى جديدا للشخصية القومية ولكرامة إنجلترا، وجدت التعبير الحقيقي عنها في عصر ذهبي للأدب ظهر واشتهر من خلاله على سبيل المثال وليم شكسبير، كما كانت فترة حكمهـا السلمي والتي استمرت ٤٥ عاما واحدة من ألمع وأبرز فترات التاريخ الإنجليـزي، وطـوال فترة حكمها وبفضل الإنجازات التي حققتها أصبحت إنجلترا قوة عظمى.

ولنبدأ من بداية حياتها.. فلقد ولدت إليزابيث في ١٥٣٣ وهي ابنة الملك هنري الثـامن من زوجته الثامنة آن بولين التي استطاعت أن تضع سابقة تمكن ابنتها من الحكم بعـد رفـع قضية البروتسانت وترويج نشر الترجمة الإنجليزية للإنجيل التي قام بها وليم تنديل. لكن لـم يتسن للأميرة الصغيرة أن تعرف أمها الملكة آن إذ قضت سنوات حياتها الأولى متنقلـة بـين القصور الملكية إلى أن أعدموا أمها الملكة آن بولين في عـام ١٥٣٦ وأعلـن البرلمـان أن إليزابيث ابنة غير شرعية.. لكنها ظلت تعيش في القصر مع أخيها الملك القادم للـبلاد.. فـي طفولتها نالت أفضل تعليم يمكن أن يقدم لطفلة إنجليزية على يد أفـضل أسـاتذة الجامعـات حينذاك ومعرفتها المبكرة والمتعمقة للتاريخ هي التي مكنتها فيما بعد أن تقوم أثنـاء حكمهـا بإصلاحات سياسية ودينية متميزة. هذا التعليم الاستثنائي يعود الفضل فيه لزوجة أبيها الثامنـة كاترين بار التي كانت تكن للأميرة الصغيرة حبا جعلها تتيح لها فرصـا واسـعة واسـتثنائية للتعليم، وظلت الأميرة ثم الملكة فيما بعد تعترف بفضلها عليها طوال حياتها.. ولمـا حانـت ساعة تتويجها لقيت اغتباطًا شعبيا شديدا بين كافة الأوساط لأنها أعقبت أختها الملكـة مـاري الأولى التي تميزت فترة حكمها باضطهاد البروتستانت، وإعدام الكثيرين منهم، كما اعتقلـت أختها في برج لندن حين علمت بنية بعض رجال الدين مساعدتها في اعتلاء العرش بوصـفها ملكة البروتستانتية لهذا فحين توفيت واعتلت إليزابيث العرش عـام ١٥٥٨ قوبلـت خطبتهـا

الأولى بترحاب شديد لأنها تميزت بالبلاغة والتواضع والالتجاء للشعب من أجل حل المشاكل الداخلية سلميا. حتى لقبوها "الملكة الصالحة بيس". ومنذ البداية أحاطت إليزابيث نفسها بنخبـة ممتازة من المستشارين انتقتهم بنفسها، كما اختارت وزراءها اعتمادا علـى معـايير مـشددة تمثلت في الذكاء والاستقامة، وكانت تجمع معلوماتها من مـصادرها المباشـرة، ثـم تـضع القرارات النهائية بمفردها، وعرف عنها الصلابة والذكاء وعدم الخوف من معارضة الرجـال عند الضرورة حتى لو كان هذا الرجل هو أقرب معاونيها وأكثرهم إخلاصا وزير الدولة وليم سيسيل، وفي عصر شاعت فيه الاضطرابات الدينية والمؤامرات الدموية استطاعت أن تحمي نفسها من تواطؤ الرجال المحيطين بها أما وسيلتها في هذا، فكانـت تكـوين وزارة صـغيرة الحجم واستشارة كل فرد منها على حدة مع الحفاظ على مبـدأ اللجـوء لأكبـر قـدر مـن المستشارين في الموضوعات المختلفة – بل إنها لحماية نفسها شجعت الأحقاد والمؤامرات بين وزرائها حتى لا يتحركوا كمجموعة واحدة ضدها.. وأما في مواجهة المـشكلة الدينيـة فلقـد قاومت ضغط البرلمان بشدة واستطاعت أن تصل إلى حل وسط لها وذلك بأن جعلت العقيـدة الإنجيلية هي العقيدة الرسمية، كما أرست وضع الكنيسة الأسقفية لكنها ما لبثـت أن واجهـت تمردا معارضا من جانب الكاثوليك أشركوا فيه أختها غير الشقيقة ماري ملكة اسكتلندا بغرض الإطاحة بإليزابيث ووضع ماري مكانها.. لكنها أمام المؤامرات الدائرة لجأت إلـى البرلمـان حتى أصدر حكما بإعدام ماري.. وعندما شجعها رجال البرلمـان علـى أن تتـصدى بقـوة للاضطرابات التي يشنها الكاثوليك لم توافق على مطاردتهم واضطهادهم، كما فعلت شـقيقتها المتوفاة الملكة ماري الأولى – بل في المقابل أتاحت لهم حرية العقيدة، لكنها إزاء مـؤامراتهم عادت فدفعت بإصدار قانون يقضي بعدم عودة الكاثوليك الخونة إلى داخل إنجلترا وقوت مـن صحوة البروتستانت، ثم واجهت ضغوطًا برلمانية شديدة تدفعها أن تتزوج واحدا من المتقدمين لها من الحكام الأجانب مثل ملك إسبانيا أو دوق فرنسا أو دوق النمسا، كمـا رفـضت لأنهـا أدركت أن الزواج سيحد من استقلاليتها وتفرغها لشئون الدولة وظلت حتى نهاية حياتها تلقب بالملكة العذراء؛ بل إن رفضها للزواج وتصديها لرغبة البرلمـان فـي تزويجهـا أدى إلـى اكتسابها تأييدا واسع النطاق على النطاق الشعبي.

بل اعتبر عزوفها عن الزواج سابقة تاريخية ليس لها نظيـر فـي التـاريخ، كمـا أن إليزابيث الأولى هي أول حاكم إنجليزي يعتبر يوم اعتلائه العرش أجازة رسمية، كما سجل لها التاريخ أيضا اهتماما لما يسبق له مثيل في تحقيق الرفاهية الاقتصادية لرعاياها، وفي سـبيل هذا ضاعفت خزانة الدولة من إيراداتها الخاصة وأموالها بدلاً من اللجوء إلى فرض ضـرائب إضافية على الشعب، كما اتسم حكمها بالرخاء والدعة لغالبية الرعايا الإنجليز، كـذلك اتـسم العصر الذهبي لعهد لإليزابيث بظهور روح إنجليزية جديدة وجدت أفضل تعبير عنها في ظهور



حركة أدبية مزدهرة شجعتها إليزابيث بنفسها عندما تعاقدت مع جماعة وليم شكسبير للتمثيـل لأداء مسرحياتهم في القصر وألحقتهم به بوصفهم ممثلين خاصين للقصر الملكي، كذلك فإنهـا عينت الفيلسوف والكاتب الذائع الصيت فرانسيس باكون مستشارا لها – لكن قبل وفاتها شهدت اضطرابات شخصية ومالية؛ إذ ساد الفساد وشحت المحاصيل وساندت القلاقل بـين الـضباط ذوي الرتب الصغيرة؛ مما أسفر عن اضطرابات مالية ملحوظة.. لكن مما لا شـك فيـه أن الملكة إليزابيث استطاعت أن تحظى بأوسع شعبية حظي بها ملك أثناء حكمه، وذلك بفضل ما تميزت به من تواضع جم ترجته في كل سلوكياتها وقراراتها التي قامت على أساس عقيـدتها الراسخة؛ وهي أنه من الأفضل أن تحكم بالحب عن أن تحكم بالخوف، وإنجازاتها خير شاهد على مبدئها هذا... كذلك فلا بد أنها لم تنشأ الكنيسة الإنجيلية فقط بل إنها أيضا حمتهـا مـن الهجمات المضادة لجماعة البوريتان الذين كانوا يمثلون معارضـة قويـة ومنظمـة بـداخل البرلمان، كما قيل إن أقل كمية دماء أريقت في عهدها، فهي لم تهاجم أعداءها قط إلا في حالة وجود خطر على بلادها، كما حظت باحترام وخوف ألد أعدائها. كما سـجل حكمهـا فتـرة ازدهار وسلام وإنجازات عظيمة جعلتها تتفوق على أي حاكم أوروبي آخر من قبلها.. بل قيل أنه طوال التاريخ الأوروبي لم يكن أي عاهل بمثل هذا الإخلاص والحـب لرعايـاه طـوال التاريخ. وتبقى خطبها البليغة خير دليل على عظمتها وتفردها على أقرانها من الرجال خـلال عصرها.. تقول "شعبي المحبوب" أعرف أن لي جسد المرأة الضعيف الواهن لكن لـي قلـب ومعدة ملك.. ملك إنجلترا أيضا.



أعظم فنانة في تاريخ الوطن العربي

هي سيدة الغناء العربي في كل زمان ومكان التي شاركت في خدمة قضايا وطنها..

هي المطربة التي شاركت بدور وطني في القضايا القومية.. الكبرى.. وكانت قدوة لغيرها من أهل الفن ومن النساء العربيات..

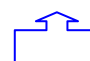
لم يجتمع العرب على شيء مثلما اجتمعوا على حب أم كلثوم.. ولم يشهد تاريخ الوطن العربي من شرقه وغربه وشماله وجنوبه فنانة حظيت بالاحترام والتقدير، كما حظيت هذه المطربة العبقرية الفذة والتي جاءت من عمق طين مصر لتخترق سماوات الفن حتى وصلت إلى شهرة تخطت حدود بلادها.. وتخطت حدود الزمان والمكان حتى أن العالم أجمع على أنها أعظم مطربة عربية ظهرت في القرن العشرين.. وحدت الناس حول صوتها. وغنت للفقراء وللملوك وللأمراء وللرؤساء وللقادة.. كما تغنت بأحلى كلمات الحب، وبأرقى كلمات القضايا العربية...

ولعل أهم ما سجل لها كدور وطني في مسيرتها الفريدة عشقها لتراب مصر ولأهل مصر؛ إذ إنها هبت بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ في حملة قومية لجمع التبرعات من أجل المجهود الحربي لاسترداد الأرض المحتلة وإعلاء شأن الكرامة العربية..

فأقامت الحفلات في أنحاء الوطن العربي لتقدم ملايين الجنيهات كمشاركة فعلية للقوات المسلحة ومساندة المجهود الحربي.. وهكذا وعت تلك الفلاحة المصرية البسيطة دورها في خدمة قضية وطنها، بل وخدمة القضية العربية.. فقدمت أعظم نموذج لعطاء الفنان لبلاده في فترات المحن..

ولدت أم كلثوم في قرية صغيرة من قرى مصر هي طماي الزهايرة بمحافظة الدقهلية في عام ١٨٩٨.. والدها هو الشيخ إبراهيم السيد الذي كان أول من شعر بموهبة ابنته التي حباها بها ا فشجعها على الغناء، وحثها على إظهار موهبتها، وذلك حين اصطحبها لتغني معه في إحدى الحفلات؛ حيث تقاضت أم كلثوم أجرها "طبقًا من المهلبية"...!

ومن الطريف أن أم كلثوم ارتدت في بداية حياتها العقال لتتشبه بالرجال خشية أن يقال إن ابنة الشيخ تغني، ولهذا فإنها في السن المبكرة لم تنشد إلا القصائد والتواشيح.. وقد علمها فن غناء القصائد أستاذها الأول الشيخ أبو العلا محمد والذي تعرفت عليه في القاهرة..



لم يكن طريقها مفروشًا بالورود فقد حاربتها في بداية حياتها منيرة المهديـة؛ إلا أنهـا واصلت اجتهادها ولم تلتفت إلى أية محاولات لإيقاف موهبتها..

مثلت أم كلثوم في السينما إلى جانب الغناء فكانت بطلة لـ ٦ أفلام سينمائية هي: "وداد" و"نشيد الأمل" و"دنانير" و"عايدة" و"سلامة" ثم "فاطمة" آخر أفلامها في عام ١٩٤٧.

في حياة الملك فاروق لقبت بصاحبة العصمة ثم لقبت في عام ١٩٧٢ بفنانة الشعب..

وفي عام ١٩٦٤ أقنعها الرئيس عبد الناصر بأن تغني من ألحان الموسيقار محمد عبـد الوهاب فغنت أشهر أغنياتها "أنت عمري" حيث توقفت مظاهر الحياة في القاهرة وجلس الناس يستمعون إليها في ليلة إذاعتها للمرة الأولى..

تزوجت أم كلثوم من د. حسن الحفناوي واستمر زواجهما ١٧ عاما ولم تنجب.

كما تم انتخابها عدة مرات نقيبة للموسيقيين بالقاهرة وهي التي قامت بتأسيس هذه النقابة في عام ١٩٤٣.

كان حفلها في الخميس الأول من كل شهر من الطقوس المهيبة في مصر وفـي العـالم العربي – حيث تسكت الضوضاء في الشوارع ويجلس الناس ملتفين حـول أجهـزة الراديـو ليستمعوا إليها.. وعن ذلك قال صحفي أمريكي في مجلة "لايف" الأمريكيـة: وفـي الـساعة العاشرة ليلة الخميس الأول من كل شهر يحدث شيء غريب في الـشرق الأوسـط؛ إذ تهـدأ الأصوات في شوارع القاهرة فجأة وفي الدار البيضاء يكف الشيوخ عن لعـب الطاولـة فـي المقاهي، وفي بغداد تتوقف مظاهر الحياة في الشوارع.. وفي الصحراء يأوي الأعراب إلـى خيامهم ينتظرون.. فالجميع ينتظر صوت أم كلثوم الذي ينبعث من راديو القاهرة..

كذلك ينبغي أن نذكر أن أم كلثوم قد نالت أرقى صور التقدير في حياتهـا؛ إذ حـصلت على العديد من الأوسمة مثل قلادة النيل ووسام الأرز اللبناني، ووسـام النهـضة الأردنـي، ووسام الاستحقاق السوري، ووسام الاستحقاق المصري..

وفي يوم وفاتها في شهر فبراير من عام ١٩٧٥ نعاها إلى الوطن العربي الدكتور عبـد العزيز حجازي رئيس وزراء مصر حينذاك..

أما في مسيرة غنائها الحافلة التي استمرت ٥٠ عاما فقد غنت ما يتعدى الثمانين قصيدة باللغة العربية الفصحى وهو إنجاز لم يسجله مطرب منذ العصر العباسي وحتى الآن كما يقول الناقد الفني كمال النجمي. وليعيش زمن غناء القصيدة العربية أزهى عصوره.

كما تغنت بألحان كبار الملحنين مثل رياض السنباطي وزكريا أحمد ومحمد القـصبجي ومحمد عبد الوهاب كذلك لحن لها الملحنون من الأجيال التالية لهؤلاء مثـل كمـال الطويـل ومحمد الموجي اللذان لحنا لها قصائد رابعة العدوية في عام ١٩٥٥.. كما غنت لكبار الشعراء مثل أحمد شوقي أمير الشعراء الذي غنت له تسع قصائد خلدت أشعاره فـي الأذان وسـجل

السنباطي لنفسه مكانة فريدة في تاريخ الغناء.. كما غنت لإبراهيم ناجي وأحمد رامـي.. ثـم غنت لطاهر أبو فاشا وكامل الشناوي ونزار قباني وصالح جودت وغيرهم..

أم كلثوم تظل موهبة عبقرية فذة في تاريخ الغناء في جميع أنحاء العالم.. قيل إنها قيثارة العرب.. وقيل إنها قمة الغناء في العالم العربي بلا منازع، وقيل إنها فنانة الشعب ويكفي أنها رفعت مكانة الغناء عاليا.. وأعطته منزلة رفيعة في المجتمع، وجعلت مـن الغنـاء وسـيلة لمساعدة الوطن في محنته تتغنى معه بأفراحه وبأتراحه أيضا.

ولكن الأهم أنها تجاوزت حدود الزمان والمكان إلى حد أنها بعد وفاتها.. يردد النـاس أغانيها ويتغنون بها وكأنها لم تمت، وكأنها ما زالت تشدو بينهم، بينما هـم منـصتون فـي احترام.. لأنها ما زالت نجما ساطعا في سماء الفن حتى يومنا هذا...



المهاجرة إلى الله

لم يذكر التاريخ متى ولدت هذه الصحابية الجليلة، ربما لأن ميلادها الحقيقي كان حينما أسلمت وحدها من بين عشيرتها وبايعت النبي (ﷺ) قبل الهجرة.

وحين نتأمل الصورة عن قرب نجد نموذج فذ للشجاعة وللإيمان يندر أن يوجـد بـين الرجال.. نجد أن فتاة قرشية تخشى على دينها من الفتنة فتقـرر أن تتـرك أهلهـا وقومهـا المشركين وتغامر بالهجرة وحدها إلى المدينة لتلحق بالنبي وبقية المـسلمين. امـرأة وحيـدة تهاجر عبر الصحراء والرمال والخوف مشيا على الأقدام زادها فقط حب ا ورسوله.

ورغم المخاطرة خرجت أم كلثوم من مكة لتصل إلى المدينة فتجد في انتظارها مفاجـأة غير سارة؛ فقد انطلق أخواها خلفها ليرداها عن الإسلام أو ليقتلا من جلبـت لقومهـا عـار الخروج عن دين الأجداد وتقاليد القبيلة.

وهنا استنجدت أم كلثوم بالرسول: يا رسول ا أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف مـا قد علمت فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي".

وكان الرسول عليه السلام قد وقع صلح الحديبية مع المشركين والذي كان يقضي بـأن يرد لهم من جاء إليه مؤمنًا.

لكن ما تلبث حيرة أم كلثوم أن تنتهي بآيات بينات أنزلها ا تعالى على رسوله الكريم:

﴿ **يا أَيها الَذِين آمنُوا إِذَا جاءكُم الْمؤْمِنَاتُ مهاجِراتٍ فَامتَحِنُوهن ا ُ أَعلَـم بِإِيمـانِهِن فَـإِن علِمتُموهن مؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرجِعوهن إِلَى الْكُفَّار** ﴾. [سورة الممتحنة الآية ١٠] فيجيب الرسـول على طلب الأخوين للذين جاءا يسألانه أن يرجعها إليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش؛ لقد أبى ا ذلك.

هذا وقد روت أم كلثوم بنت عقبة عشرة أحاديث عن النبي ﷺ، لكنها وبكل تأكيد كانـت نموذجا في الشجاعة والإقدام والإيمان.. بل وصاحبة أجرأ موقف أخذته امرأة مسلمة في بـدء ظهور الإسلام..

بل سجلت لنفسها شجاعة يصعب أن تتوافر في أعظم الرجال.. ولهـذا فهـي نمـوذج يحتذى به في الإيمان با وبرسوله عبر كل العصور..



زعيمة شبه القارة الهندية

رغم نهايتها المأساوية إلا أنها واحدة من أشهر نساء التاريخ.. ورغم المشاكل والعوائق والأشواك والعقبات التي لقيتها خلال مسيرتها إلا أنها دخلت التاريخ باعتبارهـا أول رئيـسة وزراء لدولة آسيوية كبرى هي الهند.. فلا أحد في القرن العـشرين لـم يعرفهـا أو يـرى صورها.. أو يسمع عن صيتها..

ولنعود إلى خط البداية في مسيرة حياة أنديرا غاندي التي ولدت في عام ١٩١٧.. ثـم خاضت مجال السياسة وحكم بلادها في مرحلة تاريخية هامة.. إن أنديرا تنحدر مـن أسـرة مارست السياسة وعاشت في غمارها.. فهي الابنة الوحيدة للزعيم السياسي الكبير نهـرو وإن كانت قد فاقته شهرة وذلك حين تولت رئاسة الوزراء في الهند منذ عام ١٩٦٦ وحتـى عـام ١٩٧٧.. ثم مرة أخرى عادت لتتولى رئاسة الوزراء منذ عام ١٩٨٠ وحتى وفاتها واغتيالهـا على يد حارسها من طائفة السيخ في عام ١٩٨٤ نتيجة مؤامرة سياسية للتخلص منهـا إلـى الأبد.. ولنعد إلى البداية.. فقد انضمت أنديرا عقب تخرجها من الجامعة إلى حـزب المـؤتمر الوطني لتمارس دورها في مسيرة استقلال الهند من بريطانيا وفي عام ١٩٣٨ تزوجت مـن محام هو فيروز غاندي.. ثم تم القبض عليهما بتهمة التخريب من قبل الـسلطات البريطانيـة حيث قضيا داخل أسوار السجن ١٣ شهرا.. ثم في عام ١٩٤٧ عندما حـصلت الهنـد علـى استقلالها تولى نهرو رئاسة الوزراء وأصبحت ابنته أنديرا هي يده اليمنى ومساعدته الأولى – كما صاحبته في رحلاته إلى الخارج، وظلت شريكة له في مجال العمل السياسي.

ثم في عام ١٩٥٥ انتخبت لتتقلد موقعا قياديا في السلطة التنفيذية للحزب وأصبحت هكذا شخصية سياسية ذات وزن كبير في مسيرة بلادها.. ثم في عـام ١٩٥٩ أصـبحت رئيـسة للحزب لمدة عام.. وفي عام ١٩٦٢ وخلال الحرب على الحدود بين الهنـد والـصين قامـت بتنسيق وإدارة نشاط الدفاع المدني.. وبعد وفاة والدها في عام ١٩٦٤ قامـت بزيـادة وقـت الإرسال الإذاعي، كما حررت الإعلام من الرقابة المتشددة، وذلك بعد أن تولت منصب وزيرة للإعلام في حكومته لال باهادور..

وبعد الوفاة الفجائية لرئيس الوزراء شاستري في يناير ١٩٦٦ تولـت أنـديرا رئاسـة الوزارة لأول مرة بدلاً منه.. كما تم انتخابها لمدة خمس سنوات كرئيسة للحـزب الحـاكم..



واستطاعت أنديرا من خلال قيادتها أن تقول حزبها إلى انتصار ساحق في الانتخابات في عام ١٩٧١.. ولكن في عام ١٩٧٥ واجهت موقفًا عصيبا؛ حيث أدينت بارتكاب عدة مخالفات أثناء الحملة الانتخابية في عام ١٩٧١.. ولقد حاولت أن تدافع عن نفسها بدعوى وجـود مـؤامرة خفية لإقصائها عن وظيفتها.. وقررت عدم الاستقالة بل وأعلنت الصمود في موقعها وأعلنـت حالة الطوارئ في البلاد.. إلا أنه رغم سقوط الإدانة عنها فـإن حالـة الطـوارئ اسـتمرت وحكمت أنديرا الهند بيد من حديد وقامت بالقبض على آلاف المعارضين.. ووجد الـبعض أن هذه التصرفات وراء تأثيرات ابنها الأصغر سانجاي غاندي المبتدئ سياسيا.. والتـي كانـت تعتمد عليه كثيرا في كثير من أمور البلاد.. ولهذا حاولت أنديرا أن تزيد من عـدد مؤيـديها فدعت إلى إجراء انتخابات حرة في عام ١٩٧٧ لكنها لقيت هزيمة قاسـية أفقـدتها منـصبها السياسي ومقعدها في البرلمان..

لكنها ذات إرادة من حديد وعزيمة من فولاذ فعادت مرة أخرى إلى ساحة السياسة فـي عام ١٩٨٠ وبقوة.. بل ونجحت بجدارة في استعادة منصبها وشعبيتها.. ثم واجهتها الأحـزان العائلية بوفاة ابنها الأصغر في حادث طائرة، فقامت أنديرا بإعداد ابنها الأكبر راجيف كخليفة سياسي لها في إدارة شئون السياسية في البلاد.. وقبل وفاتها قامت بمحاولة قوية لقمع تمـرد طائفة (السيخ) المتطرفة. إلا أنهم تمكنوا من اغتيالها على يد الحارس الخاص بها الذي كـان من طائفة السيخ.

ثم تولى راجيف غاندي ابنها رئاسة الوزارة بعدها حتى عام ١٩٨٩.. ولكن تم اغتيالـه هو الآخر في عام ١٩٩١ ليلقى نفس نهاية أمه المأساوية..

ثم تولت سونيا غاندي أرملة راجيف حزب المؤتمر الحاكم بعد رحيله..

وبقي للتاريخ اسم امرأة ذات قوة وصلابة هي أنديرا غاندي أول امرأة تـصبح رئيـسة للوزارة في تاريخ الهند.. وهي بلا جدال واحدة من أعظم قادة الدول النامية في النصف الثاني من القرن العشرين.. قادت بلادها الشاسعة المساحة والمتعددة الأجناس والديانات إلى التنميـة وهي التي أطلقت شرارة النهضة الحديثة في بلادها..



صاحبة جائزة نوبـل في الأدب

هي الكاتبة الأمريكية الأكثر شهرة في القرن العشرين... والتي انتزعت عـن جـدارة جائزة نوبل في الأدب عن رواية تدور أحداثها في الصين وذلك عام ١٩٣٨.. وقد جعلت منها هذه الرواية والتي تحولت إلى فيلم سينمائي كبير واحدة من أشهر الكتاب في القرن العشرين.

ولنبدأ في رصد مسيرة حياتها.. فلقد ولدت بيرل في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٩٢ ثم سافرت إلى الصين مع والديها وهي في سن صغيرة؛ حيث كانا يعمـلان بالتبـشير وهناك التحقت بمدرسة داخلية في شنغهاي. وفي سن السابعة عشر سافرت إلـى أوربـا ثـم أكملت تعليمها في أمريكا.. ثم في عام ١٩١٧ أي في الخامسة والعشرين من عمرها تزوجت من الدكتور لوسينج باك وسافرت معه إلى شمال الصين؛ حيث عمل لمـدة خمـس سـنوات وقامت بتدريس الأدب الإنجليزي في جامعات مختلفة..

ثم ظهرت أول رواية لها في عام ١٩٢٨ بعنوان "رياح الشرق"، ورياح الغرب،.. ثـم ظهرت رواية "الأرض الطيبة" في عام ١٩٣١.

فحققت نجاحا ساحقًا وتمت ترجمتها فورا إلى عشرين لغة.. كما حصلت علـى جـائزة بوليتزر وهي الجائزة الأمريكية الأهم في مجال الأدب.. وذلك كأفضل كتاب صدر في ذلـك العام، وكذلك تم تحويل الرواية إلى عمل سينمائي كبير حظي بنجاح هائل لدى عرضه..

ثم في عام ١٩٣٥ تزوجت بيرل باك مرة ثانية من ريتشارد ج. والشي رئيس تحريـر صحيفة "آسيا".. وقد تبنيا معا ٩ أطفال..

أما بخصوص رواية "الأرض الطيبة" التي صدرت في عام ١٩٣١.. فقد تميـزت فـي تاريخ الأدب بأنها قفزت إلى قمة قائمة الكتب الأوسع انتشارا، إلى حد أنها تجاوزت المليـون نسخة..

وفي عام ١٩٣٨ تسلمت بيرل باك جائزة نوبل من الملك جوستاف (ملك السويد).

وذكر التاريخ أنها كانت في قمة الأناقة والتوهج.. وبالإضافة إلـى التـأليف والكتابـة ورعاية الأطفال فلقد كانت بيرل باك مناضلة من المناضلات الكبيرات لحقوق المـرأة ومـن أجل مساواتها بالرجل.. كما ساعدت اللقطاء الأمريكيين في اليابان والفلبين وكوريـا وفيتنـام والتي كانت إحدى نتائج الاحتلال الأمريكي المشين لهذه المنطقة..



لقد كانت حياة بيرل باك حافلة بالإنجازات وخصبة بالنشاطات. ورغم ذلك فقـد كانـت تعاني من الوحدة ولم يكن أحدا قريبا من نفسها إلى درجة مشاركة مشاعرها الحقيقية.. لـذلك ظلت في عزلة عن الآخرين رغم النجاح الساحق الذي لقيته كتاباتها.. بل إن بيرل قد اعترفت بهذه الوحدة لإحدى صديقاتها قائلة:

لا أظن أنني قد تقاسمت أي شيء من دخيلة نفسي مع أي إنسان.. فلقد شعرت أني فـي كلا من زواجي الأول والثاني كنت بالكاد منصفة نحو الرجل.. إن الحياة محزنة وتلك حقيقـة وطنت نفسي دائما على تقبلها منذ أن كنت طفلة صغيرة.

هذا وقت توفيت بيرل باك في عام ١٩٧٣.. وعندما بلغت الثمانين من عمرها كانت قد كتبت ما يقرب من ثمانين كتابا وكانت مقالاتها، وخطبها تعادل عدد كتبها بل وتـساويها فـي القيمة الأدبية.. لقد رحلت بيرل باك ولكنها تركت رواية خالدة أدخلتها التاريخ.. هي روايـة "الأرض الطيبة".



صاحبة لغة الكمبيوتر الشهيرة "أدا"

أطلق اسم "أدا" على واحدة من أهم لغات البرمجة في الكمبيوتر في العصر الحـديث.. ولأن أوجيستا أدا بيرون كانت وراء هذه اللغة التي تُستخدم في الكمبيوتر فلقد دخلت التـاريخ باعتبارها من أبرز العلماء النابغين.. ولهذا فإنني مسيرة حياتها كامرأة استثنائية فـي رحلـة الحضارة الإنسانية.

ولدت أوجيستا في ديسمبر عام ١٨١٥ وهي الطفل الشرعي الوحيـد للـورد بيـرون الشاعر الإنجليزي الذي عرف عنه تعدد علاقاته النسائية.. ولما كانت أوجيستا تتمتع بجمـال وافر فلقد اشتهرت بجمالها وذكائها، كما ارتبطت بالحركة الأدبية الرومانسية في ذلك الوقـت فذاع صيتها.. ولكن أيضا إلى جانب هذا الجمال ذاع صيت ذكائها الحاد ومواهبها الفـذة فـي مجال الرياضيات إلى جانب مجال الأدب.

وفي عام ١٨٣٣ حدث لقاء في حياتها أثمر عن تحول في مسار حياتها كلـه... حيـث التقت مع شارل باباج الذي اخترع الآلات الحاسبة وحضرت معه محاضرة ألقاها البروفيسور "لاردنر" عن إحدى هذه الآلات الحاسبة.. وهي تسمى "الآلة التفاضـلية" وقـد غيـرت هـذه المحاضرة مسيرة حياتها بالفعل فرغم زواجها من الكونت "دولوفلاس" وهي في الثامنة عـشر من عمرها وإنجابها لثلاثة أبناء، إلا أنها ظلت على صلة بصديق عمرها شارل باباج، وذلـك من خلال مراسلات منتظمة كانت تكتب له فيها أفكارها ونظرياتها المدهشة، وكانت ثمرة هذه النظريات والمراسلات اختراع باباج لأول حاسب آلي في عام ١٨٣٥.. وكانت نظريـة "أدا" تنص على تطبيق المتتاليات الثانوية وهي عبارة عن مجموعة تعليمات خصصت لتنفيذ عمـل مبسط في داخل الحاسب الآلي وهكذا..

أي إنه يمكن للمبرمج أن يستخدم فقط المتتالية الثانوية بـدلاً مـن تكـرار مجموعـة التعليمات مرة أخرى، كما جاء في "موسوعة المخترعات".. كما أضافت "أدا" تجديدا آخر أدى إلى نظام البرمجة الآلية فيما بعد.. كذلك فإن "أدا" هي أول من فكر في استخدام الحاسب الآلي في مجال الموسيقى.. بالإضافة إلى أنها وضعت تصورا لنظام البطاقات المثقوبة علـى نمـط نماذج النول الذي اخترعه جاكار فيما بعد..

ولكن الرياح كثيرا ما تأتي بما لا تشتهي السفن فلقد أصيبت "أدا" بالسرطان؛ مما أسـفر عن وفاتها في ريعان شبابها عن ٣٧ عاما وذلك في عام ١٨٥٢.. ودفنـت بجـوار والـدها الشاعر الإنجليزي الكبير لورد بيرون.. وبقى اسمها محفورا في صفحات التاريخ؛ إذ أطلـق اسم "إدا" على واحدة من أهم لغات البرمجة في الكمبيوتر في العصر الحديث..



المحاربـة من أجل حقوق الإنسان

ولدت بلفا لوكوود مزودة بشفافية خاصة وقدرة على التنبؤ بقدرها.. وفي سن العاشـرة قررت أن تكون مهمتها في الحياة هي تحقيق المعجزات. وبالفعل تحققت نبوءتها عن مستقبلها حين أصبحت أول امرأة يصرح لها بالترافع أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة – كما حققت المعجزات حين وقفت كبطلة تناصر الضعفاء وتدعو لقضية السلام العالمي ففي إحدى كلماتها تقول:

لم أبعث الموتى – لكني أيقظت الأحياء عجزت عن السير فوق المـاء لكـن الـروح التقدمية لهذا العصر قريبا ستحقق هذا العمل العظيم.

ولدت بلفا في نيويورك في عام ١٨٣٠ – والدها كان مزارعا ألحقها لتتعلم في المدارس المحلية حتى سن الخامسة عشرة، وفي سن الثامنة عشرة تزوجت عامل النجـارة والمـزارع ماكنل الذي توفي بعد أربعة أعوام أثناء عمله فاشتغلت بالتدريس لإعالة نفسها وابنتها الصغيرة لكنها أخذت نصف المرتب الذي يعطي لزملائها من الرجال لهذا أصـرت علـى اسـتكمال دراستها الجامعية حتى تتساوى بهم، وعملت كمدرسة للرياضيات والمنطق وعلـم الحـساب، وسرعان ما انتخبت وكلية للمدرسة، ثم انضمت لحركة تحريـر المـرأة فـي عـام ١٨٦٧. وأسهمت في تأسيس أول جمعية تطالب بحقوق المرأة في واشنطن – وفي عام ١٨٨٤ اختـار الحزب الوطني للحقوق المتساوية بلفا لوكوود كمرشحة لرئاسة الولايات المتحـدة وحـصلت على أكثر من ٤٠٠٠ صوت – كما عملت بلا كلل في قضية الـسلام الـدولي وهـي أحـد "الأعضاء" المؤسسين لرابطة السلام العالمي. كما اختيرت عضوا في المكتب الدولي للـسلام في برن بسويسرا.. كما عينت في اللجنة التي تختار المرشحين لجائزة نوبـل – وفـي عـام ١٩١٧ توفيت.. وبلفا لوكوود ويعود إليها الفضل في العديد من الإصـلاحات الاجتماعيـة – فبفضلها دخل الزنوج المحكمة العليا – وهي المسئولة عن الموافقة على مساواة المرأة بالرجل في الأجر في الأعمال الحكومية، كما أسهمت في وضع قانون ملكية الأرض للمرأة المتزوجة – بل تعد لوكوود من أخلص وأشرس المحاربين عن حقوق الأقليات وقضية السلام العالمي.



أول رئيسة وزراء لدولة إسلامية

امرأة نادت بانطلاق المرأة في كل المجالات من منطلق مساواة الجميع أمام ا سبحانه وتعالى.

امرأة تتسم بالجمال والقوة في آن واحد. تتسم بالثورية وبأرستقراطية المولد في آن واحد.. تمتلك القدرة على اجتذاب قلوب الناس وعقولهم في آن واحد.

عملت في مجال السلطة في بلادها وفي المعارضة أيضا. أثارت من حولها الإعجاب والتساؤلات معا.

قدمت لبلادها الكثير.. لكنها أخذت الكثير أيضا. رفعها البعض إلى مصاف أبطال الديمقراطية في القرن العشرين.. ولعنها البعض الآخر بسبب ذمتها المالية.

في كل يوم تغزو بلادها وتنتشر في العالم شائعة جديدة حولها هي وزوجها... قال البعض عنها أنها أقوى امرأة في العالم.. وقال آخرون: إنها أفضل زعيمة للمعارضة في بلادها ولكنها أسوأ رئيسة للوزراء في بلادها.

هذه هي بنازير علي بوتو أول رئيسة وزراء لدولة إسلامية.. وواحدة من أشهر الشخصيات السياسية العالمية في القرن العشرين.. ملأت الدنيا أخبارها.. وتناقلت وكالات الأنباء شائعات عن فضائحها المالية.. هي وزوجها أيضا أسف زارداري.

ولكن لا بد أن نقترب منها لنتعرف على مسار حياتها وكيفية اعتلائها هذا المنصب الرفيع في دولة إسلامية ذات تقاليد لا تعطي للمرأة الحق في تولي مثل هذه المناصب الرئاسية ولنتتبع أهم المحطات في مسيرتها.

ولأعود بكم إلى الأصول الأولى لها لأنها هي التي مهدت لهذه النجمة السياسية هذا الصعود والبزوغ الاستثنائي في سماء العالم.

فأبوها هو ذو الفقار علي بوتو رجل سياسية محنك كان رئيسا للوزراء باكستان.. استطاع فرض سيطرة الدولة على الصناعات الرئيسية، كما أقام علاقات ودية مع البلاد العربية، كما أنه أيضا حقق لبلاده تقدما في المجال النووي.. وكان يتمتع بشعبية في بلاده وهو مؤسس حزب الشعب الباكستاني في عام ١٩٦٧ وفي الدولة العربية. وقد كان مسلما يؤمن بالديمقراطية وبأن السلطة في يد الشعب.



لكن كل ذلك انتهى بقيام انقلاب عسكري أطاح به وانتهى بإعدامـه فـي عـام ١٩٧٩ وكانت هذه المأساة سببا في تحويل حياة ابنته بمتابعة مسيرته.

ولقد حاولت ابنته بنازير علي بوتو إنقاذه، واستماتت في ذلك لكنها لم تستطع، وفي عام ١٩٨٦ تولت رئاسة حزب الشعب خلفًا لوالدها بالتعاون مع والدتها في مايو ٨٦ وهنـا بـدأ نجمها يسطع وسط جو من الاستبداد والاضطهاد في ظل الأحكام العرفيـة المـسيطرة علـى بلادها..

وكانت بنازير قد ولدت في ٢١ يونيو ١٩٥٣ وشربت السياسة منذ نعومة أظافرها وسط أفراد أسرتها. وتعلمت في المدارس الباكستانية، ثم انتقلت لتستكمل تعليمهـا الجـامعي فـي إنجلترا فحصلت على الليسانس في السياسة والاقتصاد مع مرتبة الشرف من جامعة هارفـارد الأمريكية عامة ١٩٧٣ ثم توجهت إلى أكسفورد؛ حيث قرأت فـي علـم الـسياسة والفلـسفة والاقتصاد وحصلت على درجة الدبلوم في الشئون الخارجية.

وهي أول سيدة مسلمة تنتخب في بريطانيا رئيسة لجمعية اتحاد جامعة أكسفورد.. ثم في عام ١٩٨١ فرضت الحراسة عليها ووضعت في السجن في عام ١٩٨٤.. ثم نفاهـا الـرئيس الباكستاني ضياء الحق إلى لندن؛ حيث دأبت من هناك على تنظيم المقاومة في مواجهة النظام العسكري في باكستان.

لكنها سرعان ما عادت في شهر أبريل عام ١٩٨٦ حيث قوبلت باستقبال شعبي حافـل في مطار لاهور.. ثم قدمت للمحاكمة بعد اعتقالها في أغسطس ١٩٨٦ بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم.. ولكن أطلق سراحها في يوم ٨ سبتمبر ١٩٨٦.. ثم جاءت محطة أخرى هامـة فـي حياتها وهي محطة الزواج والحب وارتباطها العاطفي؛ حيث تزوجت في ١٨ ديسمبر ١٩٨٧ من أسف زارداري.. ثم محطة أخرى في حياتها جاءت بموت عدوها اللدود الجنرال ضـياء الحق في حادث تحطم طائرة في أغسطس ١٩٨٨.. أجريت بعده انتخابات عامة في باكـستان في نوفمبر ١٩٨٨ ففاز حزب الشعب بأغلبية المقاعد في البرلمان وطلب الرئيس غلام إسحاق خان من بنازير تشكيل الحكومة.. فأصبحت منذ هذه اللحظة تاريخًا هاما لبلادها.. إذ إنها أول امرأة انتخبت رئيسة للوزارة في باكستان من خلال التصويت والتفويض الشعبي.. لكنها أيضا كانت فترة عاصفة بسبب المؤامرات التي أحاطت بها من كل جانب بسبب الحكم الـدكتاتوري العسكري الذي حاول أن يعرقل الديمقراطية الوليدة.. وهنا قررت بنازير أن تتولى المـسئولية نحو تحقيق الديمقراطية التي تؤمن بها إيمانًا راسـخًا.. كمـا أعطـت الأولويـة للقطاعـات الاجتماعية كالتعليم والصحة ومياه الشرب النظيفة والصرف الصحي والطاقة.. كذلك اتبعـت سياسة خارجية ناجحة.. ولكن حدث تحول في أغسطس ١٩٩٥ بعد أقل من نصف خدمتها في الحكم إذ قام غلام إسحاق خان بعزل حكومة بنازير بشكل غير دستوري داعيا إلـى إجـراء



انتخابات جديدة.. ووجهت إليها هي وزوجها تهمة بالفساد وتلقي الرشـاوى وإيـداع ملايـين الدولارات من صفقات حكومية في بنوك سويسرا.. وقضى زوجها في السجن ما يزيد علـى عامين بسبب اتهامات قالت هي عنها أنها ملفقة، وهنا ينبغي أن نقف لنقول إنها كانت زعيمـة للمعارضة من عام ١٩٩٠ إلى عام ١٩٩٣.. ثم سرعان ما عادت إلى موقعها كرئيسة للوزارة في انتخابات ١٩٩٣.

وفي نوفمبر ١٩٩٦ عادت الاتهامات ضدها تندلع من جديد من بينها اتهامـات بـسوء الإدارة والفساد احتوى عليها بيان إقالة من رئيس الجمهورية فاروق ليغاري على اعتبـار أن الدولة قد أوشكت على الانهيار وأن البلاد في طريقها للتشرذم.

ثم في ١٠ ديسمبر ١٩٩٧ عادت بنازير تتألق من جديد كزعيمـة للمعارضـة عنـدما طالبت بتشكيل لجنة لمكافحة الفساد بحكومة نواز شريف واتهمته بارتكاب أعمال فساد واسعة النطاق.. كما طالبته بالاستقالة ثم في ٩٧ صدر كتاب في سويسرا بقلم لوراني جورت يقـول إن رصيدها في بنوك سويسرا بلغ ١٠ مليون دولار.. (جمدته السلطات السويسرية) وأمـوال أخرى موزعة في ثماني دول تبلغ ٥٠ مليون دولار.. هذا بخلاف مقتنياتها في قصرها بريف إنجلترا والتي نقلتها من كراتشي.. كما تقول التقديرات أن ثروة زوجها تتجاوز ١٥٠٠ مليون دولار جمعها من العمولات.

وهكذا بدأ التيار يسير ضدها من جديد ففي كل يوم تغزو باكستان شائعة جديـدة حـول بنازير وزوجها.. بل إن إحدى صديقاتها الباكستانيات قالت "إن بنازير تطيع زوجها بـشكل لا يصدق، فلا يمكن الحديث عنه أمامها.. وهي لا ترى فيه أي خطأ..، ولكنهـا عنـدما كثـر الحديث عن فساد زوجها قالت بأسى "إن الناس يغرقون في الفساد ويختبئون تحت اسم زوجي المسكين،.. بينما قال أحد المعلقين السياسيين إن ثمة نظرية أخرى في باكستان تقول إنها هي التي تسيطر في الحقيقة على زوجها وأنه هو الذي ينفذ أوامرها ويستفيد.

وفي سبتمبر ٩٧ شجبت بنازير الاتهامات التي توجه إليها باعتبارها جزءا مـن حملـة لتلطيخ سمعتها واتهمت الحكومة بتزوير وثائق ضدها.. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن حكومـة باكستان قد قامت في سبتمبر ١٩٩٧ بتجميد الحسابات المالية لكل من رئيسة وزراء باكـستان السابقة وزوجها ووالدتها نصرت بوتو التي كانت وراء زواجها في بنوك سويسرا.

وجاء ردها على هذا بأنها ستقود حزب المعارضة.. وأنها لا تتمنى أن تتولى منـصب رئيسة الوزراء مرة أخرى. بل قالت "إنني أتطلع أن أكون مثل كوان لو زعيمة حقوق الإنسان في بورما، أو مثل الرئيسي الصيني الراحل "دنغ زيان بنج" سياسية تخدم شعبها ووطنها مـن المقاعد الخلفية.



أما في مارس ١٩٨٨ فقد علقت بنازير قائلة على سبب عزلها وذلك في قمة المجلس الأعلى للقيادات النسائية في جامعة هارفارد "إن السبب الرئيسي لعزلها واتهامها وزوجها بالفساد هو إنها امرأة تولت رئاسة الرجال وهو مبدأ مرفوض في ظل التقاليد السائدة.

ولا بد أن نذكر أن بنازير أصدرت عدة كتب منها "منظور السياسة الخارجية" و"ابنة الشرق" وأنها حرصت على ارتداء الزي الإسلامي وأنها أم لابن اسمه بيلاول وابنتين هما نجتاور وآصفه.. وإن بنازير تعني في العربية الفريدة.. وإنها أيضا من عائلة سياسية مثل سائر العائلات السياسية الشهيرة مثل كيندي وغاندي.

أيضا لا بد أن أذكر للقارئ أنها أحدثت انطباعا جيدا لدي المصريين وذلك عندما شاركت في مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة في ٥ ديسمبر ١٩٩٤.. إذ أنها قالت عندما احتدم النقاش في بعض المشكلات الاجتماعية بين الشرق والغرب وذلك حينما طالب البعض بفرض قوانين تبيح الإجهاض.. قالت بكياسة حسبت لها: "نحن لم نجيء بهدف تنمية الأديان.. أرجوكم فلنحاول أن نتفق ولنحذر تصادم الثقافات".

كما قال مراسل محطة C. N. N على لسان الرئيس مبارك بعد مغادرتها القاهرة وقبل أن تطأ مطار إسلام أباد.. "إنها سيدة سيسجل التاريخ اسمها في أنصع صفحاته نظرا لأنها قائدة ملتزمة ووفية".

كما استقبلها شيخ الأزهر السابق فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق وأيضا اذكر أنها حصلت على العديد من الجوائز الفخرية والتقديرية.

هذا ولا بد أن أقول بأن بنازير قد واجهت الدعايات التي وجهت ضدها ببرنامج سياسي يؤكد على تطبيق الديمقراطية والعدل الاجتماعي واحترام حقوق الإنسان وبرؤية دينية مستنيرة لدور المرأة ومكانتها في المجتمع الإسلامي.. إذ قالت: "إن تفسير بعض الرجال للإسلام هو الذي وضع قيودا على فرص المرأة وليس الإسلام نفسه.. فالإسلام قد تبنى موقفًا تقدميا تجاه المرأة منذ البداية حيث حرم النبي ﷺ وأد البنات الذي كان شائعا بين العرب في الجاهلية ودعا إلى تعليم المرأة وحقها في أن ترث.. وكان ذلك قبل أن تحصل المرأة الغربية على هذه الامتيازات بقرون عديدة".

ولكن في خلال تلك المسيرة الشاقة أسجل لها أنها امرأة قوية استطاعت أن تتولى منصبا لم تتولاه من قبل واحدة من بنات جنسها في دولة إسلامية.. وأنها أعطت نموذجا للمرأة السياسية المحنكة ذات القوة والوفاء لأهدافها فلقد آمنت بالديمقراطية ودافعت عنها.. وأحدثت تحولاً اجتماعيا خطيرا في مسيرة المرأة المسلمة.. كما أعطت صورة جديدة متطورة للزعيمة المسلمة في العالم فدخلت التاريخ من أوسع وأنصع أبوابه حتى وإن تكاتفت القوى المناهضة لها على عزلها أو إسقاطها.. أو أيا كانت الاتهامات التي توجه إليها.. فهي أول



زعيمة سياسية تتولى رئاسة وزارة في دولة إسلامية.. وهي التي أعطت للعالم صورة الإسلام الحضارة والتطور والثقافة والديمقراطية.. صورة مغايرة لما يعرفه الآخـرون عـن المـرأة المسلمة.



أول رئيسة وزراء في التاريخ

التاريخ سجل اسم سيريمافو بندرانيكا كأول امرأة في التاريخ تصبح رئيسة للـوزارة.. وذلك عندما انتخبت رئيسة للوزارة في سيلان في ٢١ يوليو ١٩٦٠. وعرف عنها في سيلان بأنها تتمتع بإرادة حديدية وأعصاب فولاذية وبأنها تعمل ١٦ ساعة في اليوم، أما شعارها فهو التقشف والبساطة ويمكن أن نلقبها بالمرأة الفولاذية.

ونعود إلى البداية.. فلقد ولدت بندرانيكا في ١٧ أبريل ١٩١٦ وهي تنحدر مـن عائلـة أرستقراطية عريقة تنتمي إلى طبقة "الجويوجاما" ذات التاريخ العريق فـي تـولي المناصـب الوزارية.. وبعد أن أتمت تعليمها تقدم للزواج منها سولومون بندرانيكا وذلك في عام ١٩٤٠، وكان يتولى في ذلك الوقت منصب وزير الصحة والحكم المحلي.. إلا أن عائلتها عارضـت هذا الزواج لعدم تكافؤ المستوى الاجتماعي للعائلتين..

كما كان يوجد فارق كبير في العمر بينهما حوالي ١٦ عاما... ولكن سيريمافو وتعنـي (المحظوظة) تمسكت بالرجل وحظي إعجابها بشخصيته السياسية المرموقة وبالفعل تزوجتـه وأنجبت منه بنتين وابنًا اسمه أنور..

وأما وصولها إلى السلطة فيعود إلى سبب مفاجئ.. هو اغتيال زوجها..

وقد تفانت سيريمافو في تربية أبنائها ليصلوا إلى أرقى مستوى علمي.. كمـا وجهـت مجهودها للعمل الاجتماعي حتى أصبحت عضوا في أكبر تنظيم نسائي في سيلان وهو باسـم (لانكا ماهيلا) وقد أصبحت رئيسة له ومن خلاله وجهت جهودها من أجل رفع مستوى المرأة الريفية والمرأة العاملة في سيلان..

وفي سبتمبر عام ١٩٥٩ اغتيل زوجها بتحريض من خصومه السياسيين.. فكان ذلـك الحادث الأليم المفاجئ دافعا لها لتتولى رئاسة حزب الحرية السيريلانكي وذلك في ٢٦ ديسمبر عام ١٩٥٩.. وهو الحزب الذي أنشأه زوجها في عام ١٩٥١ والذي كـان منهجـه التـأميم والاقتصاد الموجه في الداخل والحياد الإيجابي ومناهضة الاستعمار في الخارج.. وقد تحولت بندرانيكا بكل طاقاتها إلى العمل السياسي والقيادي فخاضت معركة الانتخابـات العامـة فـي صيف ١٩٦١ وحققت انتصارا ساحقًا، وأحرز حزبها أكبر أغلبية برلمانية منذ إنشائه.. وهكذا



تولت باندرانيكا منصب رئيس الوزراء وذلك يوم ٢١ يوليو ١٩٦٠... وقبل أية امرأة أخـرى في التاريخ.

أما أول بيان أذاعته بعد توليها هذا المنصب الهام في بلادهـا فكـان: تـأميم البنـوك وشركات التأمين ومزارع الشاي والمطاط، ثم هاجمت سياسة التمييز العنصري فـي جنـوب أفريقيا، وقطعت علاقة بلادها بإسرائيل وفي المقابل وطدت علاقتها بالدول العربيـة.. ومـن ناحية أخرى حققت حكومتها إنجازات هامة في الداخل في مختلف الميـادين فجعلـت اللغـة السنهالية لغة سيلان الرسمية بدلاً من اللغة الإنجليزيـة، وأشـرفت علـى الـنظم التعليميـة والتربوية.. وتوسعت في التعليم الجامعي.. كما أنشأت مؤسسة وطنيـة للبتـرول وفرضـت ضرائب تصاعدية على ذوي الدخول الكبيرة والطفيلية وبالإضافة إلى هذا فإنها استمت بالحس الوطني وتشجيع الصناعة الوطنية، ولهذا قاومت سـيطرة رأس المـال الأجنبـي وحاربتهـا بضراوة.. وفي شهر سبتمبر عام ١٩٦١ شاركت في مؤتمر الدول غير المنحازة في بلجـراد بيوغسلافيا مع مصر والهند ويوغسلافيا.. ولكن في ٢٤ مارس ١٩٦٥ هـزم حزبهـا فـي الانتخابات العامة فقدمت استقالة وزارتها.. واكتفت برئاسة حزب الحرية ثم فـي ٢٨ مـايو ١٩٧٠ – فازت في الانتخابات العامة مرة أخرى بأغلبية ساحقة فقامت بتشكيل الوزارة للمرة الثانية.. وتولت إلى جانب رئاسة الوزارة وزارة الخارجية ووزارة الدفاع.. فكانت أول امرأة أيضا في التاريخ تتولى منصب وزير الدفاع وهكذا أثبتت هذه المـرأة للعـالم قـوة المـرأة وصلابتها في مواجهة المواقف.. وقدرتها على قيادة الشعوب بكفاءة واقتدار.. ثم في أكتـوبر واجهت محنة أخرى كبرى وذلك حين قرر برلمان سيريلانكا رفع الحصانة عنها وحرمانهـا من حقوقها السياسية لمدة سبع سنوات نتيجة للمؤتمرات التي حيكت ضدها.. ولكن بنـدرانيكا (المحظوظة) و(القوية) وعدت شعبها بأنها ستسترد السلطة مرة أخرى كما فعلت مـن قبـل.. وكان لها ما أرادت وما وعدت فعلاً.. إذ جاءتها الفرصة مرة أخرى عندما أصـدر الـرئيس السيلاني جانيوس جاواردينا قراره بإعادة الحقوق السياسية والمدنية لبندرانيكا بهدف إسـهامها في إيجاد حل للنزاع القائم بين الحكومة والانفصالين المعروفين (بالتأميل) وهـم مـن أصـل هندي ويدينون بالهندوسية خمس تعداد سكان سيلان..

وهكذا أعلنت (المحظوظة) أنها ستعود إلى الحياة السياسية مرة أخرى.. وهكذا دخلـت التاريخ باعتبارها أول رئيسة وزراء في التاريخ.. وهي التي يرجع إليها الفضل فـي تقـويم صورة المرأة كقائدة سياسية وزعيمة حزبية.. وسيدة ذات شجاعة، وصلابة، وقوة في مواجهة المحن، وفي مواجهة المؤامرات.. كما أنها تتمتع بمبادئ راسخة.. فهي امرأة تؤمن بالبساطة، والعمل الإيجابي الديناميكي، وبالحياد الإيجابي وبالتعايش السلمي وبحق الشعوب فـي تقريـر مصيرها، كما اشتهرت بارتدائها للساري المصنوع من الحرير الطبيعي لبلادهـا.. وشـعرها



الأسود الفاحم الطويل.. وقبل كل هذا بدورها السياسي الفريد في التاريخ.. ولا غرابة فـي أن تنجح فلقد قالت مرة أن السر في نجاح المرأة في الإدارة والحكم يرجع إلى قوة الأعـصاب.. فإذا كانت المرأة تتمتع بأعصاب قوية وفكر سليم نجحت في الحكم وهكـذا الحـال بالنـسبة للرجل.. والعكس صحيح...

وهكذا نجحت (المحظوظة) أو بندرانيكا في تولي منصبا سياسيا رفيعا بكفاءة واقتدار.. وهو منصب رئاسة الوزارة.. لأول مرة في التاريخ وذلك في عام ١٩٦٠.



رئيسة الأطباء بدار الشفاء بالقاهرة

هي أول امرأة تتولى هذا المنصب وذلك عندما تولت بنت شهاب الدين أبـي الـصائغ مشيخة الطب ورئاسة الأطباء بدار الشفاء وذلك عام ١٠٣٦ هـ.. بعد وفاة والدها مباشـرة.. فالطبيب الشهير أحمد بن سراج الدين رئيس الأطباء بدار الشفاء لم ينجب سوى ابنـة واحـدة اشتهرت بمكانتها العظيمة في مجال الطب وعلومه.. وكانت من أبرع الممارسات لتلك المهنة الإنسانية العظيمة بجوار والدها أثناء عمله بالمستشفى.. وكان الجميع يشهدون لهـا بـالتفوق والإخلاص في العمل.. كما جاء في كتاب "الطب ورائداته المسلمات، أمـا أبوهـا الطبيـب الشهير أحمد بن سراج الدين فقد ولد في عام ٩٤٥ هـ، وتوفي في عام ١٠٣٦ فتولـت مـن بعده ابنته مشيخة الطب ورئاسة الأطباء في دار الشفاء المنصوري بالقاهرة في سابقة تاريخية من أعظم سوابق الإسلام، ومناصرته لتفوق المرأة وفقًا لمكانتها ولكفاءتها أيضا..



زعيمة ثورة التوحيد

كانت "تي" تتمتع بجمال باهر وتنحدر من أسرة على قدر من العلم والثقافة... مما أهلها لأن تصبح كيانًا استثنائيا.. وإن تحرك الحياة من حولها وفقًا لهذه الثقافة وذلك العلـم اللـذين تشبعت بهما منذ نعومة أظافرها.. وسجل لها التاريخ أنها وراء أول ثورة حضارية في تاريخ الإنسان في مجال الدين.. وهي الدعوة إلى عبادة الإله الواحد الأحد خالق كل شيء وأنـه لا شريك له.. ونبذ فكرة تعدد الآلهة التي كانت سائدة حينذاك..

ولنعد إلى البداية لنصل إلى الإنجاز بعد ذلك فلكل شيء أسباب وأصول ولا شيء ينشأ من فراغ.. هكذا يعلمنا التاريخ.. (فلقد نشأت "تي" في أسرة تتمتع بقدر وافر من العلم والثقافة إذا كان والدها قائدا لسلاح الفرسان وكانت أمها كاهنة في معبد الإله (مين).. اختارها الملـك الفرعوني "أمنحتب الثالث" وهو من ملوك الأسرة الثامنة عشر (١٨) زوجة له لما تتمتع بـه من جمال باهر محطما بهذا كل التقاليد التي كانت تقضي وقتذاك بضرورة زواج الملوك مـن سليلات الملوك..

ورغم أنه كان معروفًا بميله إلى حب التمتع بمباهج الحيـاة ومناعمهـا إذ قـدر عـدد الجواري والمحظيات في قصره الملكي بعدة مئـات كـان يجلـبهن مـن مختلـف أنحـاء الإمبراطورية المصرية في هذا الوقت، إلا أن الملك "أمنحتب الثالث" أدرك بذكائه تفوق الملكة "تي" عليهن جميعا بما تتمتع به من ذكاء وفطنة وقوة شخصية وثقافة، ومن هنا حرص علـى أن يشركها معه في حكم البلاد..

ثم انهارت صحة الملك نتيجة انخراطه في ملذاته في نهاية حكمـه؛ ممـا دعـاه إلـى الاحتفاظ بالسلطة الاسمية له بينما تولت الملكة "تي" ممارسة شئون الحكم على أسـاس مـن مبادئ العدل والمساواة وحق أبناء الشعب في التعليم.. وبالفعـل وعلـى يـديها ازداد عـدد المدارس التي كان المصريون القدماء يطلقون عليها اسم "بيوت الحياة".. كما حرصت علـى توفير سبل التعليم العالي للنابهين والمتفوقين من طلاب المدارس الأولية والمتوسطة..

وقد سجل التاريخ صفحة من نور للملكة "تي"؛ إذ إنه في أثناء حكم ابنها "أخناتون" الذي اعتلى عرش البلاد وهو في سن الثانية عشر فلقد أصبحت وصية عليه حتى بلغ سن الرشـد. وهي التي وقفت وراء إعلانه لديانة التوحيد والدعوة الأولى نحو نبذ فكرة تعدد الآلهة وعبادة



الإله الواحد خالق كل شيء ولا شريك له.. (وهكذا كانت المرأة الدافع الأول والمحـرك لأول ثورة حضارية في مجالي الدين والفن في مصر القديمة.. قبل أي حضارة إنسانية أخرى"..



"أم الفقراء في العالم"

"مساعدة الفقراء".. هذه هي الرسالة التي كرست لها حياتها سيدة عظيمة يتذكرها القرن العشرين.. ويحفظها التاريخ بين صفحاته في أنبل مكانة.. لأنهـا عاشـت حياتهـا للفقـراء فاستحقت احترام العالم وإجلاله.

إنها الأم "تيريزا".. التي نقلب بين سطور حياتها هنا..

اسمها "إيناس جونجا" ترهبت في أحد أديرة الهند التي هاجرت إليهـا تاركـة مـدينتها "سكوبجي" بيوغوسلافيا.. وهي في الثامنة عشر من عمرها.. ثم غادرت "إيناس" حاملة اسمها التي عرفت به فيما بعد "الأم تيريزا" لتبدأ رحلتها النبيلة مع الفقراء.. وهي لا تملـك سـوى ملابسها المتواضعة ومبلغ من المال لا يتعدى خمس روبيات. وأخذت تجوب المدن في الهنـد لجمع التبرعات من أجل مساعدة الفقراء، وفي خلال بضعة شهور استطاعت أن تقيم بيتًا فـي مدينة "كلكتا" الهندية يرعى ٥٢ ألف فقير.. وقد تحول هذا البيت إلى منظمـة دوليـة باسـم "إرساليات الخير" هدفها تقديم المساعدة للفقراء والمرضـى والمعـاقين، ومرضـى الجـذام، والمنبوذين والبائسين في كافة أنحاء العالم بعد أن انتشرت فروع لهذه البيوت في ٥٧ دولة في أنحاء العالم – ومن الأعمال المعروفة للأم "تيريزا" أيضا ما قامت به من يد العون في عـلاج جرحى الحرب في فيتنام، ومن مساعدة اللاجئين الفلسطينيين فـي الأردن وغـزة ومـساعدة المنبوذين في إحياء هارلم، وهكذا استحقت عن جدارة الاعتراف والتكريم بل وحصلت علـى العديد من الجوائز العالمية من أهمها: حصولها على جائزة نوبل للسلام، وجائزة الماجـساي ساي، وجائزة كيندي، وجائزة جواهرلال نهرو للتفهم العالمي، وجائزة التمبلتون وكذلك قامت بجولة ببعض الدول الإفريقية من بينها أثيوبيا والسودان ورواندا وبوروندي وزائير بالإضـافة إلى مصر التي توقفت بها ثلاثة أيام التقت خلالها بقرينة الرئيس حسني مبارك السيدة سوزان مبارك، كما التقت بوزيرة الشئون الاجتماعية آنذاك د. آمال عثمان.. كما تفقدت البيوت التـي أقامتها منظمتها في ٣ محافظات في مصر هي: القاهرة، والإسكندرية، وأسيوط.. كما أشرفت على الإعداد لإقامة بيت رابع وقامت بجولة لجمع التبرعات لهذه البيوت في احتفـال سـفارة الهند بالأم تيريزا...

تقول عن نفسها ردا على سؤال يقول: "لماذا تركت بلادك يوغسلافيا وأنت فـي الثامنـة عشر من عمرك"؟

فقالت: من أجل الفقراء.. واعتبرت نفسي شخصا يخرج ليعطي الحب وهكذا خرجـت "الأم تيريزا" من ديارها لتعطي الحب، فأعطاها الناس الحب الذي استحقته.

وسجل لها التاريخ وقفتها الإنسانية النبيلة، وقدرها العالم ووضعها في مـصاف أعظـم شخصيات القرن العشرين وحظيت باحترام الجميع كبارا وصغارا.. شعوبا وملوكًا.. رجـالاً ونساء.. وبقي اسميها محفورا بحروف من نور تضيء الطريق لمن بعدها لعل البعض يحذي حذوها..



بطلة فرنسا القومية

عرفت في التاريخ بأنها بطلة فرنسا القومية إلى درجة أنها لقبت بالقديسة. إلى جانب هذا فإن دارك هي بالتأكيد أشهر قائدة حربية في التاريخ.. ألهم إيمانها وشجاعتها النادرة أعمالاً أدبية كتبها كثير من الأدباء المشهورين، كما مجد حملتها البارعة لتحرير فرنسا من الحكم الأجنبي الكثيرون في كتاباتهم مثل المؤرخ جول ميشليه. وكتب عنها بوصفها مثالاً حيا للإيمان النابع من النور الداخلي فولتير ومارك توين، وشيلر وأناتول فرانس، وجورج برناردشو، وماكسويل أندرسون..

وقد ولدت جان دارك عام ١٤١٢ في دومريمي، وهي قرية صغيرة في شمال شرق فرنسا حين كانت حرب المائة عام على أشدها، وكانت فرنسا خلالها ضالعة منذ ٧٥ عاما في حرب خاسرة ضد إنجلترا من أجل الاستيلاء على التاج الفرنسي، وكانت قريتها دومريمي إحدى القرى التي تدين بالولاء للملك الذي لم يكن قد توج بعد شارل السابع.. وبما أن مسقط رأس جان دارك كان يقع على حدود اللورين فقد كانت تحاصره قوات البورجنديين حلفاء الإنجليز – كانت جان وهي ما تزال صغيرة ترتاد الجبال برفقة أشقائها الخمسة لترعى أغنام والدها، لم تتلق أي تعليم وظلت أمية طوال حياتها، ولم تعلمها والدتها سوى الحياكة والغزل وتلاوة الصلاة. وكانت منذ صغرها طفلة شديدة الورع والإيمان كما تهوي الإنصات إلى القصص الدينية بكل الاهتمام.

وفي سن الثالثة عشرة بدأت جان تسمع أصواتًا تنبعث من ثلاثة تماثيل حجرية لثلاثة قديسين في كنيسة قريتها، ولم ترو تفاصيل هذه الأصوات الخفية إلا بعد ذلك بسنوات طويلة أثناء محاكمتها في مدينة روان؛ حيث اعترفت برؤى طفولتها.. وحين أتمت السابعة عشر أمرتها تلك الأصوات الملازمة لها أن تنطلق من أجل فك حصار مدينة أورليانز، وأن تقود ولي العهد شارل إلى مدينة ديمز ليتم تتويجه ملكًا على فرنسا.

وهكذا في عام ١٤٢٨ وبرفقة أحد أقاربها قدمت جان نفسها للقائد الفرنسي بودركور أحد أشهر القادة العسكريين حينذاك وطلبت منه الفتاة الجريئة جوادا وستره حربية وجنديا يصطحبها إلى الملك، مؤكدة له أن مهمتها هي إنقاذ فرنسا.. لهذا أرسل القائد جان متخفية في ملابس الرجال بصحبة أحد جنوده إلى مقر قيادة ولي العهد.. وكان ولي العهد حينذاك



مستسلما خاملاً يائسا في إمكانية اعتلائه مكانه الشرعي على عرش فرنـسا – لهـذا فعنـدما أعربت جان عن رغبتها في مقابلته فبعث يومين في حضرة مستشاريه واستطاعت أن تقنـع ولي العهد بقدراتها الخارقة بعد سلسلة من الاختبارات المتتالية.

وبالفعل قادت جان الجيش الفرنسي في اتجاه مدينة أورليانز المحاصرة.. وفي البدايـة قاوم الجنود الفرنسيون رئاستها لكنها استطاعت أن تمارس قدرتها الخارقة على كبـار القـادة الفرنسيين الذين تولوا بدورهم إقناع رجالهم.

وفي ١٦ يوليو وصل الجيش الفرنسي إلى أبواب مدينة ريمز فخرجت المدينة للترحيب بالقوات الملكية القادمة وبالملك الجديد شارل السابع – وجثت جان على ركبتها معلنة ولاءهـا للعاهل الشرعي للبلاد.. وبعد انتهاء مهمتها أرادت أن تعود إلى مسقط رأسـها لكـن الملـك رجاها أن تبقى إلى جانبه – فانصاعت للأمر الملكي- وبعد هذه الأحداث وضـع الفرنـسيون جان دارك في مصاف الأبطال.. وبعد استراحة دامت شهرا واحدا عادت جان تحـث شـارل السابع على أن يشن هجوما موسعا على باريس فوافق.. وحاربت بشراسة إلى جانبـه رغـم إصابتها بجرح كبير في فخذها.. وفي غمرة القتال فوجئت بالملك شارل ينسحب من المعركة ويطالبها بأن تتبعه – ولكنها رفضت واستمرت تحارب وتحرز انتصارا وراء الآخر رغم قلة الإمدادات والعتاد.. وفي ربيع سنة ١٤٣٠ ألقت قوات البورجنديين القبض على جـان حيـث أودعت في السجن.. ولم يبذل الملك شارك أية محاولة لإطلاق سراح جان وقابـل صـنيعها بجحود غير مفهوم حتى الآن.. وفي المقابل طالب الإنجليز بتسليم الساحرة إلـيهن وبالفعـل بيعت جان دارك إلى السلطات الإنجليزية بمبلغ ١٦ ألف فرنك وأودعت قلعـة روان؛ حيـث ذاقت أشد أنواع العذاب الجسدي والنفسي واتهمت بعد ثلاثة شهور بالسحر والشعوذة.

ثم حكم عليها القضاء بالسجن المؤبد.. وسلمت إلى السلطات المدنيـة، وحـين أتمـت التاسعة شعرة أحرقت السلطات الإنجليزية جان دارك حية ثم ألقوا رمادها في نهر السين.

وبعد مرور ٢٠ عاما على وفاتها طالبت أمها وشقيقها السلطات الكنسية بإعـادة فـتح قضيتها.

وفي يوليو سنة ١٤٥٦ صدر قرار بابوي يطعن في إدانتها، وأعلنت الكنيـسة البابويـة براءتها.. وبعد ما يقرب من ٥٠٠ عام من إحراقها وفي عام ١٩٢٠ أعلنت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية رسميا قدسيتها – ولكن الإعجاب بروحها الشجاعة تعدى الحدود وأصبحت شجاعة جان في الإصرار على مواصلة رسالتها الخاصة ذات التعاليم السماوية رمزا وإلهاما لكل من يؤمنون بالقدرات الروحية الخارقة للعادة.

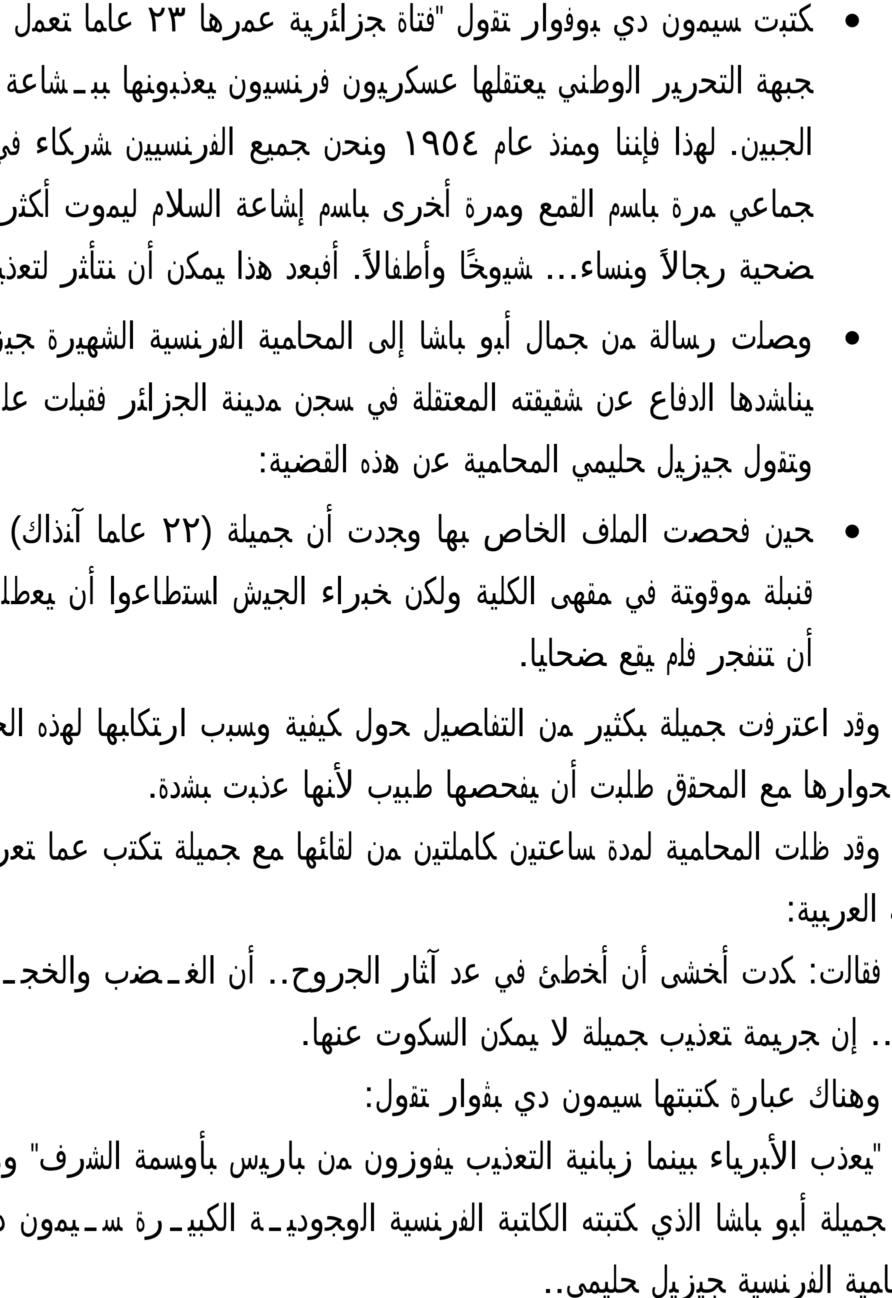
أما من الناحية التاريخية فقد وضعها التاريخ في مـصاف أهـم الأبطـال الـوطنيين؛ إذ استطاعت بمفردها كقائدة قومية أن تعيد لفرنسا مكانتها كقوة أوروبية كبرى، بينمـا كانـت



حينذاك مقسمة إلى إقطاعيات متفرقة.. ولولا إصرارها على حث الملك شارل على فتح مدينة الريمز لكان الملك الإنجليزي هنري الخامس قد أصبح ملكًا على فرنـسا وإنجلتـرا ولكانـت إنجلترا وفرنسا قد صارتا دولة واحدة.



رمز ثورة الجزائر



- كتبت سيمون دي بوفوار تقول "فتاة جزائرية عمرها ٢٣ عاما تعمل فـي خدمـة جبهة التحرير الوطني يعتقلها عسكريون فرنسيون يعذبونها ببـشاعة تُنـدى لهـا الجبين. لهذا فإننا ومنذ عام ١٩٥٤ ونحن جميع الفرنسيين شركاء في جريمة قتل جماعي مرة باسم القمع ومرة أخرى باسم إشاعة السلام ليموت أكثر من مليـون ضحية رجالاً ونساء... شيوخًا وأطفالاً. أفبعد هذا يمكن أن نتأثر لتعذيب فتاة؟
- وصلت رسالة من جمال أبو باشا إلى المحامية الفرنسية الشهيرة جيزيل حليمـي يناشدها الدفاع عن شقيقته المعتقلة في سجن مدينة الجزائر فقبلت علـى الفـور. وتقول جيزيل حليمي المحامية عن هذه القضية:
- حين فحصت الملف الخاص بها وجدت أن جميلة (٢٢ عاما آنذاك) قد وضـعت قنبلة موقوتة في مقهى الكلية ولكن خبراء الجيش استطاعوا أن يعطلوا القنبلة قبل أن تنفجر فلم يقع ضحايا.

وقد اعترفت جميلة بكثير من التفاصيل حول كيفية وسبب ارتكابها لهذه الجريمة وفـي نهاية حوارها مع المحقق طلبت أن يفحصها طبيب لأنها عذبت بشدة.

وقد ظلت المحامية لمدة ساعتين كاملتين من لقائها مع جميلة تكتب عما تعرضت له هذه البطلة العربية:

فقالت: كدت أخشى أن أخطئ في عد آثار الجروح.. أن الغـضب والخجـل يجتاحـان كياني.. إن جريمة تعذيب جميلة لا يمكن السكوت عنها.

وهناك عبارة كتبتها سيمون دي بفوار تقول:

"يعذب الأبرياء بينما زبانية التعذيب يفوزون من باريس بأوسمة الشرف" وهي جملة من كتاب جميلة أبو باشا الذي كتبته الكاتبة الفرنسية الوجوديـة الكبيـرة سـيمون دي بوافـوار والمحامية الفرنسية جيزيل حليمي..



وتحت ضغط لجنة الدفاع عن جميلة في باريس برئاسة سيمون دي بوفوار تم نقل جميلة بوباشا إلى فرنسا لإجراء فحص طبي حينئذٍ ثم تم نقلها إلى لسجن فرين ثم عادت إلى الـسجن بالجزائر حيت أفرج عنها فيما بعد.

ثم بعد هذا اقترحت سيمون دي بوفوار أن يصدر كتاب يشتمل على كل ما يتعلق بقضية جميلة فوافقت اللجنة بالإجماع ليصدر كتاب "جميلة بو باشا" الذي بقي وثيقـة إدانـة للنظـام الفرنسي الاستعماري وقمعه لحركة التحرير الجزائرية بأبشع الوسائل وفي نفس الوقت وثيقـة البطولة الباقية كدليل على قصة المناضلة الجزائرية جميلة بو حريد رمز الثورة الجزائرية.

ومن كلمات جميلة إلى المحامية جيزيل حليمي:

- تعرفين أنني من جنود جبهة التحرير الوطني وسأموت من أجل استقلال الجزائر.

ومن سجنها نلتقط بعض عبارات لجميلة بوباشا تقول فيها:

لو كنت حرة.

- لو كنت حرة لحاولت أن أضرب في الأرض وأكتسب أقصى مـا أسـتطيع مـن المعارف.
- لو كنت حرة لاستطعت أن أعطي لأهلي ولنفسي سعادة هائلة.
- لحاولت أن أتذكر ما بدا لي هنا أغلى ما في الحياة حنان أهلي وصـداقة مأمونـة والوفاء والشجاعة..
- أن أزهار بلادي ما زالت في مخيلتي على أجمل ما تكون!

ولا بد من القول أن اسم خالدة هو اسمها في السر أي اسمها كمناضلة في جبهة التحرير الوطني.

- من كلمات السيد باتان رئيس لجنة الأمن والعائد من الجزائر "أنها تحسب نفـسها جان دارك فهي تنشد استقلال الجزائر، وكانت هذه الكلمات دليلاً علـى كراهيـة المحققين الفرنسيين الذين تولوا سجنها وتعذيبها لبطولتها.
- أما شهادة فرانسو ساجان كاتبة فرنسا الشهيرة فتقول:

لقد صدقت قصتها.. وإنني أتحدث عنها لأنني خجلة ولا أفهم كيف أن رجلاً ذكيا يـدرك معنى العظمة (تقصد ديجول) لم يفعل بشأنها شيئًا حتى الآن.

- انهالت آلاف الرسائل والبرقيات من فرنسا ومن الخـارج أيـضا علـى رئـيس الجمهورية تطالب بالنظر في شكوى جميلة حول تعـذيبها واحتجازهـا وانتـزاع اعترافات منها بالعنف. حتى أصبح اسمها رمزا لأساليب عفا عليها الزمن تطبـق



من أجل حرب غاشمة، استعمارية ظالمة.. صارت جميلة فـي التـاريخ رمـزا للبطولة والصمود.. امرأة واحدة استطاعت أن تجسد حرية شعب بأكمله وتجعـل الظالم متعاطفًا مع استقلاله.. إنها جميلة بو حريد بطلة الجزائر التـي رأت مـن العذاب ما يندى له جبين البشرية لكنها بشجاعتها أصبحت صفحة ناصعة الشرف والبطولة في تاريخ كفاح الشعوب من أجل استقلالها في القرن العشرين.. ويا لها من بطلة.. استثنائية...



أول كاتبة لرواية واقعية

تميزت ماري أن إيفانز وعرفت بين معاصريها بذكاء وهاج ومقدرة هائلة على الإلمـام بشتى ألوان المعرفة.. قال عنها الفيلسوف الإنجليزية هربرت سبنسر: لم أعرف سوى رجـال قليلين أستطيع أن أناقش معهم موضوعا فلسفيا بهذا القدر من الاقتناع والرضا ولكن ماري آن إيفانز دخلت في مصاف الخالدين تحت اسم جورج أليوت كواحـدة مـن أعظـم الـروائيين الإنجليز..

ولنعود إلى البداية فقد ولدت ماري في إنجلترا فـي نـوفمبر عـام ١٨١٩.. وظلـت لشخصية والدها أثر كبير عليها ظهر في رواياتها فيما بعد – كما استلهمت كثيرا من قصص أصدقائها وأقاربها ومما مر بهم في حياتهم كنماذج في كتاباتها الأدبية.

وفي سن الخامسة ألحقت ماري بمدرسة داخلية؛ حيث ظهر ذكاؤها المتفرد ومواهبهـا المبكرة وحين بلغت الخامسة عشرة توفيت والدتها المريضة، وأرغمت على ترك المدرسة من أجل الإشراف على منزل والدها – ولكنها استمرت تدرس الفرنسية والإيطالية على يد مدرس خاص كما وسعت من دائرة قراءتها ونوعيتها، وقد انصب اهتمامها حتـى بلوغهـا الثانيـة والعشرين على قراءة الكتب الدينية.

ثم في عام ١٨٤١ انتقلت عائلتها إلى مدينة كوفنتري؛ حيث عقدت صداقات بـالمثقفين فتحولت عن ممارسة التبشير الديني. واتجهت باندفاع تدافع عن الحريات الإنسانية. وفي عام ١٨٤٦ نشرت أول كتاب لها وكان ترجمة لكتاب آثار جدلاً واسعا وهو "حياة المسيح" للكاتـب الألماني ستراوس.

ثم حدد عام ١٨٥١ نقطتين حاسمتين في حياتها – ففي هذا العام أصبحت محررة فـي مجلة وستمنستر- كما قابلت جون هنري لويس المحرر والناقد الأدبي لصحيفة "الليدر" الـذي جمعتها به قصة حب ربطتهما حتى وفاته وأثارت جدلاً واسعا داخـل الأوسـاط الاجتماعيـة والأدبية إذا كان متزوجا ولم يسمح القانون الإنجليزي للويس بالحصول علـى الطـلاق مـن زوجته – لهذا سافر الاثنان إلى ألمانيا؛ حيث بدأت فترة إنتاج وازدهار أدبي وفير لهـا.. ثـم عادا إلى إنجلترا؛ حيث كتبت سلسلة من القصص القصيرة تحت عنوان "مـشاهد مـن حيـاة كاتبة" الذي أعطاه لويس لصديقه الناشر جون بلاكوود تحت اسم جورج اليوت لتنـشر فـي



مجلته الأدبية – ولاقت القصص نجاحا كبيرا- وفي عام ١٨٥٩ أصـدرت أولـى رواياتهـا الطويلة "أدم بيد" ولم تعرف حقيقة كونها امرأة إلا بعد ظهور بعض أدعياء زعموا أنهم جورج أليوت؛ مما دعا الكاتبة الحقيقية إلى الإعلان عن هويتها. وعلى أثر هذا أصدرت ٦ روايـات طويلة.. خلال عشرين عاما... وفي عام ١٨٦٣ انتقلت مع جورج لويس إلى منزل آخر فـي أرقى أحياء لندن؛ حيث خفت حدة الهجوم عليهما وأصبح منزل ماري آن لويس والناقد جورج لويس صالونًا أدبيا مرموقًا يرتاده مثقفو العصر..

وهكذا حازت جورج أليوت على إعجاب رجال الأدب في عـصرها حتـى أصـبحت ظاهرة أدبية فريدة.

ثم توفي جورج لويس – فوجدت العزاء مع صديق مقرب هو القـس جـون كـروس وفاجأت أصدقاءها للمرة الثانية حين تزوجت كروس الذي يصغرها بـ ٢١ عاما.. وفي عـام ١٨٨٠ توفيت الأديبة الخالدة بعد ثمانية أشهر من زفافها – في سن الحادة والستين.

وترجع أهمية جورج أليوت إلى كونها أول كاتبة تخوض مجال القصة الفكرية الواقعية من قبلها ظهرت كاتبات اشتهرن بكتابة القصة مثل جورج صائد أو مدام دي سـتايل اللتـان كتبتا روايات تدور حول قصص الحب أما جين أوستن فقد طورت القصة الأخلاقية لتصل بها إلى حد الكمال.

لكن قبل جورج أليوت انحصرت قصص الأديبات داخل الأجـواء الخاصـة بـالمرأة اهتماماتها، كما دخلت تاريخ الأدب بوصفها أحد أعلام القصة النفسية الواقعيـة – فلـم تكـن جورج أليوت رائدة افتتحت فقط آفاقًا جديدة في كتابات المرأة- بل ظهر أثرها الكبيـر علـى الأدباء الرجال أيضا.. فقد ابتدعت نمطًا جديدا وهو الرواية التي تقع أحداثها في الريف والتي طرقها فيما بعد ألمع الروائيين من أمثال توماس هاردي "وليو تولستوي و د. هـ. لورانس".

كما ينبغي أن نؤكد أنه قبل جورج أليوت نادرا ما أُبرزت أدوار الفقراء في الروايات – ففي رواية "أدم بيد" يتضح جليا عطفها على الأشخاص العاديين والشخصيات الريفية – لكنهـا إلى جانب هذا وصفت صورة حية للمجتمع الإنجليزي الراقي في رواية "دانييل ديروندا" التي نالت أعجاب عدد كبير من القراء وأصبحت من الكلاسيكيات، وبعد قرن من وفاتها نجـد أن جورج أليوت تلاقي تقدير وإعجاب المتعلمين والمثقفين وتُدرس رواياتهـا فـي عديـد مـن المدارس والكليات، وتبقى رواياتها علامة في الأدب المعاصر ونقطة تحول في كتابات المرأة الأدبية.



حافظة المصحف الشريف

هي المرأة التي وقع الاختيار عليها لتؤدي أنبل مهمة في تاريخ الإسلام.. وهـي حفـظ صحف القرآن الكريم.. وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب التي وقع اختيار أميـر المـؤمنين أبي بكر الصديق عليها لتجمع صحف القرآن المنزل قبل أن تضيع رقعه المتفرقة وخاصة بعد استشهاد عدد كبير من حفظة القرآن في حروب الردة.

وقد كان الرأي في ذلك يعود إلى عمر بن الخطاب فهو الذي أشار على أبـي بكـر أن يجمع المصحف.. فأسند أبو بكر الصديق ﷺ بدوره هذه المهمة الجليلة إلى حفصة ليظل فـي رعايتها حتى تم رسم القرآن الكريم كاملاً في عهد عثمان بن عفان.. ولقـد كانـت حفـصة حينذاك من النساء القليلات اللاتي يجدن القراءة والكتابة بالإضافة إلى أمانتها المعروفة بها في السلوك ودقتها الفائقة في كل ما تنوط به.

ولقد تزوجت حفصة من صحابي جليل استشهد في معركة أحد وهو خنيس بن حذافـة القرشي.. تاركًا إياها وهي شابة صغيرة.. وهنا تألم أبوها عمر بن الخطاب لترمل ابنته وبعد تفكير قرر أن يختار لها زوجا.. فذهب إلى الرسول ﷺ يشكو إليه فتبسم النبي ﷺ قائلاً:

"يتزوج حفصة من هو خير من عثمان فابتهج عمر بن الخطاب لنيله هذا الشرف الكبير واحتفلت المدينة بزواج الرسول ﷺ من حفصة لتصبح واحدة من أمهات المؤمنين.. وبعد وفاة الرسول ﷺ عاشت حفصة لتشهد انتصار الإسلام وفتوحاته في عهد أبيها الفاروق عمر ولتشهد أيضا اغتياله على يد أبي لؤلؤة المجوسي وقد أقامت في المدينة معتكفة على العبادة حتى ماتت في عهد معاوية بن أبي سفيان، بعد أن حفظت صحف القرآن الكريم إلى أن أصبح كاملاً فـي صورته النهائية في عهد عثمان بن عفان..



وجه فلسطين

هي من أقوى أسلحة الفلسطينيين ضد إسرائيل، امرأة عربية صارت المتحدثـة بلـسان قضيتها. خبرتها لم تمر بها امرأة غيرها.. فلقد عايشت وانفعلت مع ثورات أهلها وعانت معهم قهر الاحتلال.. حتى أصبحت وجه قضية شعب فلسطين.. تلك القضية التي أصبحت من أهـم قضايا الصراع في القرن العشرين.

صارت حديث العالم بين يوم وليلة وذلك حين ظهرت على شاشات التليفزيون لتتحـدث باسم الفلسطينيين في مفاوضات السلام...

تملك الشجاعة والقوة والثقافة والحصافة التي تجعل العالم يستمع إليها حين تتحدث عـن آلام شعبها.. هددوها بالقتل فلم تتوقف عن الكلام.. اعتقلت في بدء مشوار نضالها من أجـل قضية وطنها فلم تنسحب من المعركة..

هي تطالب بحرية وطنها وباستقلاله.. وبحياة آمنة لأهله.. ولنبدأ المشوار من البداية.

لقد ولدت حنان لتقود... فهي تنحدر من بيت مسيحي عريق من رام ا .. فوالدها طبيب ذو أملاك في مدينة رام ا أنفق من ماله الكثير في سبيل تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية.. أما حنان فهي أصغر بناته الخمس وأشجعهن.. أتمت تعليمها المدرسي في المدرسة العليا برام ا .. وأعفيت من المصاريف الدراسية في الجامعة الأمريكية ببيروت لتفوقها الدراسي.. كمـا كانت تتمتع بمواهب أدبية؛ إذ إنها بدأت تكتب في سن مبكرة القصائد الشعرية حول وصـف الحياة الفلسطينية البائسة تحت ظلم الاحتلال وهي ما زالت تكتب القصائد الشعرية حتى الآن.. ولدت حنان في عام ١٩٤٧.. ومنذ سن مبكرة وعت دورها في خدمة قضية فلسطين.. غيـر أنها بعد استكمال دراستها لم تستطع العودة فورا إلى وطنها لأن الإسرائيليين لم يمكنوا العرب الذين كانوا غائبين في عام ١٩٦٧ أن ينضموا لأسرهم.. لكنها عادت فور فك الحصار عـنهم في عام ١٩٧٣.. ومن يومها نذرت نفسها للعمل العام وبدأت تعلن رأيها في تحريـر المـرأة وبدأت الانخراط في العمل السياسي – ورجعت إلى بيت عائلتها الجميل في رام ا .. وبـدأت تعمل في تدريس اللغة الإنجليزية التي درستها في جامعة بيروت.. ثم التقت بأميل شـعراوي وهو فنان مصور وعازف موسيقى وتزوجا في عام ١٩٧٥ – وأنجبا ابنتين هما زينة وأمل..

تقول عن لقائها بزوجها الفنان:



".. كان شعره طويلاً ووجهه مليحا وبدا عليه أنه غارق في فنه، وعندما طلبني للرقص رقصت وبقينا معا منذ تلك الليلة وحتى آخر العمر..".

أما هو فيقول عنها:

"إنها تكره العنف ولا تجيزه أبدا حتى ولو لم يبق هناك طريق غيره".

ثم يضيف قائلاً عن وصف حياتهما معا:

"أنا أريدها أن تفعل ما تراه وما تريده فلها حياتها ولي حياتي.. ولنا حياتنا المـشتركة، ولكن ليس لي الحق في أن أقول لها ما يجب عليها أن نفعله".

ولكن الحقيقة أن أميل زوجها يتولى قدرا كبيرا من المسئولية فـي غيابهـا المتكـرر وأسفارها الكثيرة يتولى هو رعاية البنتين..

وتقول هي عن الثمن الذي تدفعه لانخراطها في العمل العام:

".. للعمل العام ثمنه الذي أدفعه من حياتي ويدفعه زوجي وتدفعه طفلتاي.. لكننا جميعا متفهمون وراضون بذلك...".

وحنان تنتقل من مدريد إلى واشنطون إلى موسكو إلى بيروت وإلـى عمـان وتتكـرر الرحلات إلى أي مكان آخر تُعقد فيه المحادثات الطويلة للسلام في الشرق الأوسط.. بعـد أن أصبحت الناطقة باسم الوفد الفلسطيني في مفاوضات السلام..

ولقد جاءتها الشهرة مع عام ١٩٨٨ م حين بدأت الظهـور فـي التليفزيـون كـصوت فلسطيني بدأ العالم وكوجه آخر له تأثير إنساني بالإضافة إلى وجه عرفات.

ثم مع نهاية سنة ١٩٩١ أصبحت متحدثة باسم الوفد الفلسطيني في مفاوضات السلام.

وفي هذا المجال بالذات سجلت تفوقها وذلك بالمؤتمرات الصحفية التي تعقـدها بـصفة منتظمة كمتحدثة رسمية باسم الوفد الفلسطيني ولقد ساعدها في ذلك عملهـا كأسـتاذة للغـة الإنجليزية في الجامعة بالأراضي المحتلة.

وهي التي قالت ذات يوم معبرة عن موقفها من القدس: لجريدة الحياة في واشنطون في عام ١٩٩٣. "لقد وضعنا القدس ونصر عليها كشرط للسلام ومن دونها ما في شيء أي مـن دون تعريف النطاق الجغرافي والولاية الجغرافية التي تشمل كل الأراضي التي احتلت في عام ١٩٧٦ لا نتكلم عن أي شيء آخر.. فالقدس والمستوطنات والأرض والولاية الجغرافية هـي مسائل أساسية".

وفي عبارة حاسمة لوكالة أنباء الشرق الأوسط في نفس العام قالت: "أي اقتراح ينـاقش القدس سيكون غير مقبولاً".



ثم أوجزت في حديث لراديو عمان القضية باختصار وبلا خوف: وذلك في ٦ يوليـو ١٩٩٣ قائلة "هناك جمود في المفاوضات وتعنت إسرائيلي وعدم حرية في التعامل مع القضايا التفاوضية، بالإضافة للانحياز الأمريكي لإسرائيل مما يعني إننا نتفاوض مع خصمين".

كما تعرضت حنان لمحاولات لاغتيالها.. وذلك من قبل أعضاء حركة "كاخ" اليهوديـة المتطرفة الذين هددوا باغتيالها.. وفي ١٣ أغسطس ١٩٩٣ صار كل العالم يعرف اسمها بعد إعلان استقالتها، ورفض ياسر عرفات لذاك.

أما بالنسبة لمصر فلقد كان موقفها واضحا وذلك حين دافعت عن الدور المصري فـي مفاوضات السلام وقالت في حديث لإذاعة صوت العرب إنها مجرد إشاعات تهدف إلى التقليل من الدور المصري.

وحين هددها الإسرائيليون بالاعتقال في عام ١٩٩٢ لأنها ذات تأثير قوي على المشاهد الأمريكي في التلفيزيون بما تملكه من حصافة ومنطق.. وذلك إذا ما استمرت على اتـصالها بمنظمة التحرير الفلسطينية.. تدخل الرئيس الأمريكي بوش شخصيا عندما علم بذاك الأمـر.. وحذر إسرائيل تحذيرا واضحا وحاسما وقال في اجتماع مع الأمريكان العـرب "حنـان فـي عقلي".. فتراجع الإسرائيليون عن اعتقالها..

أما هي فأبدا لم تشعر بالخوف منهم إذ قالت:

"إن كلامي قد لا يعجبهم لكنك قد تجد نفسك مضطرا لأن تقول كفـى عنـدما يفـيض الكيل".

"إن المرأة الفلسطينية هي الرمز الحقيقي للانتفاضة وهي متميزة في مـضمار التعلـيم والوصول فيه إلى أعلى الدرجات العلمية بين كافة نساء العرب".

ثم في عام ٩٧ حصلت على جائزة فلسطين الهمشري في مقر منظمة التربية والعلـوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة في باريس عن كتابها "فلسطين – إسرائيل.. رؤية للـسلام مـن الداخل".. وهي جائزة تمنحها جمعية التضامن الفرنسي الفلـسطيني ثـم إنـشائها فـي عـام ١٩٦٩... وتعمل من أجل الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.. ومن أجـل إيجـاد تسوية عادلة وشاملة للصراع في الشرق الأوسط..

وفي عام ١٩٩٧ هاجمت حنان التعنت الإسرائيلي وقالت إن إسرائيل تتصرف بعقليـة الاحتلال بهدف فرض الأمر الواقع على الشعب الفلسطيني. وقالت إن القدس ليـست قـضية فلسطين وإنما هي عربية وإسلامية ومسيحية، وأن الاستيطان في القدس وفي أبو غنـيم هـو قنبلة ضد عملية السلام وطالبت بأن يكون هناك تجاوب مسئول وحقيقي مع متطلبات عمليـة السلام..



كما أكدت أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت وما تزال هي المرجعية الوحيـدة للوفـد الفلسطيني...

وينبغي أن نقول إن أول لقاء لحنان عشراوي بياسر عرفات كان في عام ١٩٦٩ حـين حضرت المؤتمر الأول للاتحاد العام لطلبة فلسطين في عمان وكانت المرأة الوحيدة بينهم.. ثم التقت بياسر عرفات القائد الجديد لمنظمة فتح وطرحت قضية الكفاح وظـلاً يتحـدثان معـا حولها..

وفي مايو ١٩٩٨ كان لها موقف شجاع وذلك حين هاجمت حنان الحكومـة الأمريكيـة التي هنأت إسرائيل على إنجازاتها طوال الخمسين عاما الماضية قائلين إنها نجحت في تحويل الصحراء إلى حالة ازدهار.. حيث قالت مؤكدة أن فلسطين لم تكن أبدا صحراء ولم تكن أبـدا مقفرة أو غير مأهولة..

ثم تولت حنان عشراوي منصب وزيرة للتعليم العالي في السلطة الفلسطينية ووصـفها ياسر عرفات قائلاً:

"إنها تاج على رءوسنا"..

ولعله من المهم أن نذكر هنا أيضا أن العالم يقول عنها: "إنها أقوى الأسلحة التي جندها الفلسطينيون ضد إسرائيل".

أما هي فحين يظهر وجهها على شاشات التليفزيون تقفز للعـالم علـى الفـور قـضية فلسطين حتى أصبحت هذه المرأة رمزا لقضية شعب يريد وطنه. بل أصبحت حنان عشراوي هي وجه فلسطين..



أعظم شاعرة في الإسلام

هي رمز حي للبطولة والشجاعة والإيمان.. لقبت بأن الشهداء حيث استـشهد أبناؤهـا الأربعة في معركة القادسية حتى تم النصر لجيش المسلمين.. وحين نعي إليها رجال الجـيش استشهاد أبنائها.. قالت:

"الحمد الذي شرفني بقتلهم.. وأرجو أن يجمعني بهم ربي في مستقر رحمته".

كما عرفها العرب كأعظم شاعرة في تاريخ الإسلام والجاهلية. قال الرسول ﷺ عنهـا: أشعر الناس الخنساء بنت عمرو.. إذ كان الرسول ﷺ يعجبه شعرها ويستنشدها قائلاً: هيه يـا خنساء.. وقيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء.

ولدت الخنساء بنت عمرو بن الحارث في الجاهلية وينتهي نسبها إلى قبيلة مضر وهـي من أشهر وأقوى القبائل العربية آنذاك.

تميزت بجمالها وحسبها فصارت محط أنظار العرب وقد تزوجت وأنجبت أربعة أبنـاء كانوا فخرا لقبيلتهم.

وقد اشتهرت الخنساء برثائها لأخيها صخر.. ومن أشعارها...:

ألا يـــا صـــخر أبكيـــك عينـــي

فقـــد أضـــحكتني دهـــرا طـــويلاً

ذكرتـــك فـــي نـــساء معـــولات

وكنـــت أحـــق مـــن أبـــدى العـــويلا

دفعـــت بـــك الجليـــل وأنـــت حـــي

ومـــن ذا يـــدفع الخطـــب الجلـــيلا

البكـــاء قـــبح البكـــاء علـــى قتيـــل

رأيـــت بكـــاءك الحـــسن الجمـــيلا

ومن قولها في رثاء أخيها صخرا:

يـــذكرني طلـــوع الـــشمس صـــخرا

وأذكـــره لكـــل غـــروب شـــمس

ولـــولا كثـــرة البـــاكين حـــولي

علـــى موتـــاهم لقتلـــت نفـــسي

وقد سألها يوما الفاروق عمر: يا خنساء ما أقرح مآقي عينيك؟

فقالت الخنساء: بكائي على أهلي مضر (تقصد قبيلتها).

فقال: يا خنساء أنهم في النار...

فأجابت: ذاك أدعى لعويلي عليهم..

وزادت فقالت: كنت أبكي صخرا على الحياة.. أما اليوم فأنا أبكي له من النار.

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعطي الخنساء راتبا عن كل ابن من أبنائهـا مائتي درهم حتى مات.

أما الصحابية الجليلة والشاعرة العظيمة فقد توفيت في أول خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان سنة ٢٤ هـ.

إن الخنساء قد سبقت نساء الغرب وأديباته في التعبير الأدبي البليغ وفي نظم الـشعر.. ومن هنا كان علينا أن نذكرها في ألمع صفحات التاريخ.. لأنها كانت ذات تفرد وسبق.. تفخر به نحن نساء العرب...

الفارسة الملثمة

التاريخ سجل صفحات من نور لفارسة استثنائية ذات شجاعة نادرة – فذة في خوض ساحة القتال.. هذه الفارسة التي نقف لنروي قصتها اسمها خولة بنت الأزور الكندي.. والتي وقف القائد العربي المغوار خالد بن الوليد أمام شجاعتها مندهشًا يتساءل عن هويتها. وقد حدث ذلك حينما شاركت خولة مع أخيها في الشام في معركة فاصلة بين العرب والروم.. وأخذت تقاتل بضراوة شديدة حتى وقف خالد بن الوليد ينظر إلى الفارس الملثم متسائلاً: من هذا الفارس؟.. إنه لفارس شجاع..

واستمر الفارس الملثم يقتل رجالاً وجنودا معرضا نفسه للموت حتى خرج من صفوف القتال وهو ينزف دما.. فقال رافع بن عميرة "ليس هذا الفارس إلا خالد بن الوليد" فلما أقبل عليهم خالد تساءل الجمع عن ماهية هذا الفارس المقدام.. وقال خالد: لقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله أنه شعلة من نار والخيل في أثره كلما لحق به الروم هرب منهم..

وحينما اقترب الفارس الملثم من جيش المسلمين رأوه وهو ينزف دما. فصاح خالد والمسلمون به: أيها الفارس اكشف لنا عن شخصيتك.. فلم يتكلم فقال له الجمع المنتظر: أيها الفارس إن الأمير يخاطبك وأنت تعرض عنه، اكشف عن اسمك.. فلم يرد عليهم بأي جواب..

وهنا سار إليه خالد بن الوليد بنفسه قائلاً له: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بعملك.. فمن أنت؟؟؟

فخاطبته خولة قائلة: إنني يا أمير المؤمنين لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير عظيم وأنا فتاة.. فقال لها ما اسمك؟؟

فقال له: خولة بنت الأزور..

ومن مواقفها الشهيرة أيضا التي سجلها لها التاريخ أنها وقعت هي ومجموعة من النساء كأسيرات في إحدى المعارك فجمعت خولة النساء وصاحت بهم:

"أيها النساء أترضين لأنفسكن هذه المهانة؟؟ أين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها أحياء العرب؟ إني أرى القتل عليكن أهون مما نحن فيه"..

فقالت عفراء الحميرية: صدقت وا يا بنت الأزور.. إن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وليس معنا سلاح.

فأجابت خولة: خذوا أعمدة الخيام والأوتاد لنضرب بها هؤلاء اللئام لعل ا ينـصرنا.. فنحمي أنفسنا من معزة العرب..

فقامت النساء بالفعل بناء على كلمة خولة بحمل أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة ثـم هجمن على الأعداء وقاتلن قتالاً شديدا حتى تخلصن من أسر الروم..

هذا وقد سجلت خولة لنفسها مكانًا بارزا في تاريخ القتال كفارسة ذات شـجاعة نـادرة وتوفيت في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي ا عنه لتترك اسمها محفـورا فـي سـجل عظماء المقاتلين ذوي الشجاعة الفذة في رحلة التاريخ..



أميرة القلوب

لم يحدث أن تعلقت أنظار العالم في التاريخ بأميرة مثلما حدث مع أميرة ويلز.. أو ليدي ديانا.. ولم يحدث أن تم ملاحقة امرأة في القرن العشرين كما تمت ملاحقة كل خطوات هذه المرأة..

ولم يحدث أن بكي العالم وفاة امرأة كما حدث في يوم جنازة ديانا.. ولم يحدث أن نالت إعجاب الناس أميرة في التاريخ مثلما حدث مع هذه المرأة.. ولو أردنا أن نلخص قصة حياتها المثيرة لقلنا في كلمتين إنها فتاة عادية تحولت إلى أميرة للقلوب بعد زواجها من وريث العرش البريطاني الأمير تشارلز.. فلقد غيرت نظرة الناس للأسرة المالكة.. وتمردت على التقاليد والبروتوكول وخطفت انتباه العالم وإعجابه ببساطتها وحيويتها وانخراطها في العمل الاجتماعي الخيري والإنساني؛ مما جعل القلوب تلتف حولها إذ إنها رأست أكثر من ٢٢٢ مؤسسة خيرية تجمع لها التبرعات، من كل أنحاء العالم.. وتدعمها ماديا – ومعنويا..

إنها الأميرة التي ألهبت خيال الجماهير في كافة أنحاء العالم ورسمت صورة جديدة لأميرة عصرية عاشقة للحب وللحرية.

هي أيضا عاشقة للناس.. وللبسطاء.. وللمرضى وللفقراء من أبناء الشعب.. وأيضا للفنانين الذين كان بعضهم من أقرب أصدقائها..

تميزت بجرأتها وبساطتها إلى جانب أنها جميلة الملامح.. أنيقة في بساطة.. مشرقة الابتسامة.. متوهجة الأحاسيس بل استطاعت ديانا أن تكون أقوى من النظام الملكي في بلادها.. فأينما ذهبت كانت تخطف الكاميرات من زوجها ومن الملكة إليزابيث الثانية.. حتى أصبحت كل كلمة تقولها أهم من التصريحات الملكية وكل خطوة تقوم بها أهم من خطوات مجلس الوزراء البريطاني.. كما تمردت على العرش والنفوذ والثراء والسلطة والتقاليد والروتين وعاش حياتها منطلقة محبة.. عاشقة لحريتها رغم أنف الجميع..

ولكن ينبغي أن نقول إن جرأتها اللانهائية قد أودت بها إلى حملات هجومية عليها لكنها لم تأبه وأعلنت مواقفها النبيلة منها والمشيئة أيضا على الملأ...

أسطورة هي بلا شك في زمن العلم والكمبيوتر والأقمار الصناعية والعنف والحروب.



حضر مراسم جنازتها أبرز الوجوه من مشاهير العالم في السياسة والفـن وكـان فـي مقدمة الحاضرين السيدة سوزان مبارك.. كما تابع الملايين عبر الأقمار الـصناعية مراسـم دفنها.. وخرج الشعب البريطاني بالآلاف في الشوارع يبكيها.. كما سـالت دمـوع ملايـين المشاهدين في جميع أنحاء العالم وحضر عشرات الآلاف جنازتها رغم أنهـا لـم تكـن ذات منصب رسمي أو ذات جاه أو سلطة..

اسمها ديانا فرانسيس سبنسر ولدت في ١ يوليو ١٩٦١ بإنجلترا وهـي سـليلة عائلـة إنجليزية نبيلة الأصول.. في ٢٩ يوليو عام ١٩٨١ أي عندما بلغت العـشرين مـن عمرهـا تزوجت من أمير أحلامها الأمير شارلز ولي عهد بريطانيا ووريث العرش البريطـاني فـي كاتدرائية القديس بولس؛ حيث شاهد الملايين في العالم على شاشات التليفزيون مراسم الزواج الذي يشبه الأساطير والذي تم بين مدرسة الحضانة الشقراء الجميلة ذات الابتسامة الـساحرة والأمير شارلز ولي عهد بريطانيا الذي يكبرها بـ ١٢ عاما وسار الموكب الملكي في شوارع لندن يشاهده الناس وسرعان ما أنجبت منه ولدين هما الأمير ويليام في عام ١٩٨٢ وبعد ذلك بعامين أنجبا الأمير هاري.. ولكن السعادة التي كان يشاهدها العالم على شاشاته فـي بدايـة الزواج الأسطوري لم تكن في الحقيقة. فلقد كان الأمير شارلز على علاقـة حميمـة بـسيدة إنجليزية متزوجة اسمها كاميلا باركر بولز. واكتشفت ليدي ديانا هذه العاقة الوطيدة بينهما منذ بداية الزواج.. وصارحها شارلز بأنها امرأة أساسية في حياته.. وباءت كل محـاولات ديانـا لإبعاد غريمتها عشيقة الأمر بالفشل ثم بدأ الزواج يتهاوى شيئًا فـشيئًا.. وبـدأت العواصـف تعصف به.. وكانت البداية في عام ١٩٩٢ وفي ١٥ يونيو بالتحديد بصدور كتـاب للمؤلـف أندرو مورتون والذي فجر قنبلة في جميع أنحاء العالم؛ إذ كشف حقيقة التكهنات الدائرة حول الزواج الملكي.. أما عنوان الكتاب فكان مثيرا وهو "ديانا وقصتها الحقيقية"..

وفي هذا الكتاب كشف لعلاقة شارلز بكاميلا وأنها السبب في محاولة انتحار ديانا.. ثـم أعقبه سلسلة من الفضائح التي زلزلت أركان الزواج حتى قوضته.. ففي أغسطس عام ١٩٩٢ أي بعد شهرين فقط من صدور الكتاب نشرت صحيفة "صن" البريطانية نص مكالمات تليفونية مسجلة لديانا مع رجل يدللها بأسماء تدليل حميمة.. ثم في ديسمبر من نفس العام أعلن رئـيس وزراء بريطانيا جون ميجور في البرلمان أن ديانا وشارلز قد انفصلا دون أن يعلن أي خطط للطلاق..

ثم بعد ذلك بشهر واحد أي في يناير ٩٣ نشرت صحيفة "صن" نص مكالمة تليفونية بين شارلز وعشيقته كاميلا قيل إنها سجلت في عام ١٩٨٩.



ثم فجر شارلز قنبلة جديدة في لقاء تليفزيوني معه حين أعلن للعالم – في سابقة لم تحدث من قبلت- على الملأ أنه قد خان ديانا بعد انهيار زواجهما وفشل محاولات كل منهما لاستمراره..

ثم في أكتوبر من نفس العام ١٩٩٤ صدر كتاب آخر للمؤلفة "آنا باسترناك" بعنوان "الأميرة في حالة حب" تكشف فيه عن علاقة دامت خمس سنوات بين ديانا ومدرب الفروسية الخاص بها واسمه جيمس هويت..

ثم في نوفمبر انفجرت قنبلة أخرى لم يشهد لها العالم مثيلاً من قبل وانقسم العالم ما بين مؤيد ومعارض لها.. إذ ظهرت ديانا في لقاء تليفزيوني معها لتعلن علاقتها الحميمة مع مدرب الخيول هويت.. ثم في أغسطس من نفس العام نشرت الصحف علاقة جديدة بين ديانا ولاعب الرجبي المعروف "ويل مارلينج" مما أسفر عن انفصال بينه وبين زوجته.. ثم في ديسمبر من نفس العالم يقرر شارلز الطلاق بناء على نصيحة والدته الملكة إليزابيث.. ثم في فبراير ٩٦ توافق ديانا على انطلاق ليصبح طلاقًا نهائيا في أغسطس ١٩٩٦.. ثم تبدأ ديانا رحلة انطلاقها إلى الحرية.. ويفاجئ العالم بعلاقة حب بين الأميرة ديانا (أميرة ويلز) والثري المصري المسلم عماد الفايد.. ابن الثري المصري المقيم في لندن محمد الفايد وتلتقط الصور للعاشقين الجديدين أينما ذهبا.. ويلاحق المصورون الصحفيون ديانا أينما ذهبت كظلها.. وتغزل أنباء قصة جديدة ومثيرة للاهتمام العالمي.. فالأميرة الإنجليزية الزوجة السابقة لوريث العرش البريطاني تحب مصريا مسلما.. وتجري وراءهما الكاميرات الصحفية.. وفي محاولة للهروب منهم يستقل العاشقان سيارة مرسيدس في باريس وبينما هما يتجهان إلى نفق "ألما" الفرنسي يقع لهما حادث أليم يؤدي إلى مصرع الاثنين.. وتموت ديانا فور وصولها إلى المستشفى.. ويموت السائق أيضا ولا يبقى إلا حارسها الخاص الشاهد الوحيد الذي لا يتكلم حتى الآن.. وتثور الشكوك وتحوم الشبهات حول مؤامرة بريطانية للتخلص من الأميرة ديانا أم ولي العهد التي كانت ستتزوج مسلما وتنجب أبناء مسلمين..

وفي مشهد مهيب يبكي الملايين ديانا.. التي تحولت إلى أسطورة ويحكي قصتها الشيوخ والشباب والأطفال.. ويبقى السؤال مطروحا حول وفاتها...

وتقام جنازة تاريخية لم يشهد لها التاريخ مثلاً لامرأة قط إذ نقلتها الأقمار الصناعية فبكاها الناس في الشرق والغرب في الشمال والجنوب وخرج الشعب الإنجليزي بالآلاف يبكي أميرته التي تخلت عن كرسي العرش لتحتل عرش القلوب.. ولتترك بصمة كوجه إنساني نبيل حريص على إعمال الخير ومساعدة المرضى والأطفال الفقراء وكمساهمة أساسية في مجال الأعمال الخيرية في بلادها.. مما حفز الكثيرون ليحذو حذوها ويساهموا بالجهد والمال مثلما فعلت..



وهكذا حفرت ديانا اسمها كأميرة للقلوب.. قد يختلف البعض على تحررها وانطلاقهـا وسلوكياتها.. وجرأتها الاستثنائية في الاعتراف بأخطائها.. لكن مما لا شك فيه أن الملايين قد أحبوا تلك الإنسانة البسيطة التي أعطت جهدها لأعمال الخير والتي آثرت أن تـدخل القلـوب أولاً قبل أي شيء آخر. كامرأة عاشقة للحرية وللحب وللخير بل إنها قالت عن نفسها "أريد أن يتذكرني الناس كأميرة للقلوب".



منقذة نساء الهند من القهر

قبل عام ١٨٨٨ وهو تاريخ افتتاح راما باي لأول مدرسة لأطفال الأرامل فـي الهنـد كانت حياة الأرملة التي لم تنجب ذكرا مأساة حقيقية فطبقًا للعقيدة الهندية كان الترمـل يعنـي عقابا إلهيا ينزل على المرأة لارتكابها فواحش سابقة في زمن سابق..

فإن لم تعوض المرأة جرائمها السابقة بأن تنجب أطفالاً من الذكور في خـلال حياتهـا الحاضرة تعامل على أنها مجرم عام يستلزم عقابه حتى تحين ساعة وفاته.. لهذا كانت توضع الأرملة في ركن مظلم في منزل عائلة الزوج المتوفى وترتدي ملابس مصنوعة من الخـيش الرث ولا تعطي لها سوى وجبة وتمنع من أية نشاطات عائلية وتحرم من مخالطة المجتمع – ويعاملها أقارب المتوفى أسوأ معاملة جسديا ونفسيا باعتبارها مذنبة وسببا في وفـاة الرجـل المتوفى- فإن لم يكن للمتوفى أقارب تعود إلى عائلتها؛ حيث يـتم ضـربها ولا يـسمح لهـا بمخالطة الأقارب لأنها تعد واحدا من طبقة المنبوذين في الهند، وبما أن غالبية النساء في الهند كن يتزوجن عن طريق الزيجات المرتبة في سن التاسعة، فإن غالبية النساء كن يترملن فـي سن صغيرة ويحكم عليهن بحياة مأساوية حتى قبل سن البلوغ.. لهذا سجل التاريخ في الهنـد قصة امرأة عظيمة هي راما باي لأنها أنقذت آلاف الأرامل في بلادها من سوء المصير، فقد كانت أول امرأة هندية تفتتح أول مدرسة خاصة ومزرعة تلحق بها مئات الأرامل المنبـوذات وتعلمهن وتدربهن على المهن القليلة المتاحة حينذاك للمـرأة مثـل التـدريس أو التمـريض أو التجارة في مزرعتها أو الالتحاق بالمدرسة الصناعية التي أنشأتها وهي أول مؤسسة مـن نوعها في الهند.. وقد ولدت راما باي في عام ١٨٥٨ وكان لمعاناتها منذ الصغر أكبر الأثـر في تشكيل مسيرة حياتها من أجل تحقيق رسالة عظيمة للمرأة الهندية المقهورة. والدها كـان من طبقة البراهمة ولديه آراء متقدمة فعلم زوجته الطفلة القراءة والكتابة؛ مما أثار استياء أهله وأقاربه فاضطر للنزوح إلى أرض جونجامال؛ حيث استكملا دراستهما وتأملاتهما في العقيدة الهندوكية وتلقت راما باي تعليمها على يدي والديها وفي سن الخامسة عشرة صارت ضـليعة في ست لغات هندية وحين اجتاحت المجاعة الهند في عام ١٨٧٤ تـوفي والـدها وشـقيقتها جوعا.. ونتيجة لوضع عائلتها المنبوذ أكملت هي وشقيقها حياة الرحالة من الحجاج الهنـدوس وهي حياة معدمة شاقة كانتا يستعينان فيها من أجل الاستمرار في الحياة على تـدريس اللغـة



السنسكرينية لطائفة البراهمة – وبعد ثلاث سنوات استقرا في كلكتا حيث ذاعت شهرة راما باي في التدريس وتلقين التعاليم الدينية- لهذا فإنها حين تقدمت إلى لجنة مدرسة الهندوس في كلكتا اختبروها في قدراتها على تعليم الذكور.. ولما أظهرت نبوغًا ومقدرة فائقة نالت إعجاب الطائفة المتعصبة من البراهمة حتى أنها أطلقوا عليها "ربة الحكمة" و"السيدة المتعلمة" وعندما توفي أخوها ظلت تعيش بمفردها إلى أن التقت بمحام من البنغال من طائفة الشوندر فتزوجها رغم المعارضة الاجتماعية لاختلاف عقيدتهما الدينية. لكنه توفي بعد عامين فقط لإصابته بالكوليرا وترك راما باي الصغيرة مع ابنتها الرضيعة. وقوبلت برفض عائلة الزوج المتوفى لإعالتها ونبذتها عائلتها لزواجها رجلاً من خارج عقيدتها.. ولما كانت راما باي تحلم بتكريس حياتها بتحرير المرأة الهندية من قيودها ومساعدة الفقراء من أبناء الأرامل اللائي لا ذكور لهن فقد تقدمت إلى الإرسالية المسيحية في روما لتساعدها ماديا في تحقيق مهمتها، وبالفعل قاموا بتمويل رحلتها التعليمية إلى إنجلترا.. حيث تعلمت واشتغلت بالتدريس ثم انتقلت إلى أمريكا حيث – أكملت رحلة تعليمها وأجرت أبحاثًا ميدانية على الحضانات الأمريكية- وفي عام ١٨٨٧ نشرت أول كتاب يصف "حال المرأة الهندية بعنوان "المرأة الهندية والعقيدة، ولقي الكتاب انتشارا واسعا ولفت أنظار محبي الخير لبناء مدرسة للأطفال- بعد هذا عادت راما إلى الهند لتشرع في بناء مدرستها التي أطلقت عليها "دار الحكمة" - وألحقت بها الأرامل صغيرات السن ثم ابتاعت مزرعة بنت فيها مدرسة صناعية لتعليم النساء الحرف المختلفة.

وهكذا كان لدور رماباي أثرا كبيرا في إنقاذ نساء الهند من القهر ومن المعاملة اللاإنسانية في بعض الأحوال.. إن هذه المرأة تمثل نقطة تحول في تاريخ بلادها.. وفي مسيرة الحضارة الإنسانية.



أول سيدة تسبح في الفضاء

ولدت سفتيلانا في أغسطس ١٩٤٨ كان والدها طيارا سوفيتيا أسقط ٢٤ طائرة ألمانيـة أثناء الحرب العالمية الثانية؛ مما أهله لأن يحصل على لقب مارشال ليتولى منصب نائب القائد الأعلى للقيادة الجوية. وقد أخذت سفتيلانا كثيرا من صفات أبيها البطوليـة؛ حيـث ورثـت الصلابة والقوة والقدرة على مواجهة الصعاب وهو ما جعلها تحاول الالتحاق بنادي الطيـران وهي في السادسة عشرة من عمرها ثم التحقت بعد ذلك بمدرسة الطيران وتخرجت منها ثـم عملت بالتدريس في مجال قيادة واختبار الطائرات؛ حيث أحرزت ١٩ رقما قياسيا وقادت ٢٠ نوعا من الطائرات ومنذ أن فاجأ السوفييت العالم في عام ١٩٦١ وأرسلوا أول إنسان داخـل سفينة صغيرة إلى الفضاء في رحلة استغرقت ١٠٨ دقيقة. كانت الأولى هي فالنتينا ترشيكوفا وبعدها بـ ١٩ عاما تقريبا ظهرت سفيتلانا بطلة القفز بالباراشوت ومهندسة الطـائرة التـي استطاعت في أول تجربة لها عام ١٩٨٢ أن تبقى لمدة ٨ أيام على محطة سـاليوت ٧ حيـث أكدت بما لا يدع مجالاً للشك عدم وجود فروق بين الرجل والمرأة بالنسبة لتأثيرات الفـضاء وتبعتها بعد ذلك في عام ١٩٨٣ سالي رايد أول رائدة فضاء أمريكية.

وقد حققت سافيتلانا سافيتسكايا رائدة الفضاء السوفيتية رقما قياسيا في عـالم الفـضاء عندما أصبحت أول سيدة تسبح في الفضاء لمدة ثلاث ساعات ونصف مـن خـلال مركبـة سويورتي ١٢ التي أقلتها خلال رحلتها الأخيرة التي استمرت ١٤ يوما وعادت بنتائج جديـدة كان لها أثرها على التجارب والأبحاث التي أجريت في مجال استكشافات الفـضاء بالإضـافة إلى تأثيرات الفضاء النفسية والجسدية على المرأة.

هي رمز للشجاعة والإقدام في تاريخ الإنسانية.



صاحبة أول صالون أدبي في الإسلام

هي أول من أقامت صالونًا أدبيا في الإسلام.

هي سيدة نساء عصرها، ونموذج فريد للمرأة المسلمة المثقفة.. اسمها محفور في ذاكرة التاريخ كناقدة أدبية عظيمة وبهذا تكون المرأة المسلمة سباقة في مجال الثقافة؛ بل إنها سـبقت الأديبات الأوروبيات اللاتي ذكرهن التاريخ في مجال الصالونات الأدبية.

كان يحضر ندواتها كوكبة من أعظم شعراء العرب يحتكمون إليها فيما ينـشدون مـن أشعار فتقدم أحكامها النقدية الصائبة والمبنية على علم غزير وثقافة واسعة ومعرفـة شـاملة بالشعر وبحوره وأوزانه وصوره. كما كانت تملك من قوة الحجة وسعة الأفق والاطلاع مـا تبهر به العقول والقلوب وقد روي أن الفرزدق بعد أن أدى فريضة الحج قد استأذن ودخل إلى السيدة سكينة رضي ا عنها فقالت له: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا فأجابت: أشـعر منك جرير إذ يقول:

بنفـــسي مـــن تجنُّبـــه عزيـــز
علـــي ومـــن زيارتـــه لمـــام
ومـــن أمـــسى وأصـــبح لا أراه
ويطرقنـــي إذا وهجـــع النيـــام

فقال لها: وا لو أذنت لأسمعتك أحسن منه فخرج ثم عاد إليها مرة أخرى.. فقالت له يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا فأجابته: صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لـــولا الحيـــاء لعـــادني اســـتعبار
ولـــزرت قبـــرك والحبيـــب يـــزار
لا يلبـــبس القرنـــاء أن يتفرقـــوا
ليـــلٌ يكـــر عليهـــو ونهـــار

ولم يقتصر نشاط صالون السيدة سكينة على الشعر فقط بل امتـد ليـشمل الموسـيقى والغناء أيضا.



ورغم شغفها بالأدب وتذوقها له إلا أنها كانت شديدة الاستغراق في التعبد تعالى إلى حد أن والدها الإمام الحسين  قال لأحد الخطاب الذين وفدوا إليه طالبا الزواج مـن إحـدى بناته: اخترت لك فاطمة، فهي أكثر شبها بأمي فاطمة الزهراء أمـا سـكينة فغالـب عليهـا الاستغراق مع ا فلا تصلح لرجل".

وقد ولدت هذه السيدة العظيمة سنة ٤٧ هجرية وقد لقبتها أمها "رباب بنت امرئ القيس" بسكينة نظرا لأن نفوس أهل البيت كانت تسكن وترتاح إليها.

وقد شهت السيدة سكينة في طفولتها مأساة كربلاء مما أضفى على شخصيتها الكثير من الحزن؛ حيث شهدت مقتل أبيها الحسين وذبح أهلها وأخواتها أمام عينيها مما كان له وقع أليم على نفسها.. أما من ناحية حياتها الخاصة فلقد تزوجت عدة مرات ولكن ظـل أول أزواجهـا مصعب بن الزبير بن العوام هو أقرب أزواجها إلى قلبها.. والذي شهدت مصرعه هو الآخر وذلك حينما شارك حرب عبد الملك بن مروان ليلقى حتفه بها.. والغريب أنها أحـست قبـل وفاته بدنو أجله.. إذ إنه في ليلة ذهابه إلى القتال جاء ليودعها فإذا بهـا تـصيح بـه قائلـة: "واحزناه عليك يا مصعب".

وحين بلغها نبأ وفاته وجاء أهل الكوفة لمواساتها صاحت فيهم قائلة في لوعة، وأسى إذ غاب عنها الرجل الذي أحبته من عمق القلب بعد أن تجمعت عليها الأحزان المتتاليـة.. "لقـد قتلتم جدي عليا وقتلتم أبي الحسين وزوجي مصعب.. فبأي وجه تلقونني"؟

وقررت الرحيل من أرض العراق بعد أن أحاطت بها الأحزان من كل جانب.. فرحلت إلى المدينة المنورة حيث استقرت فيها.. وفي عام ١١٧ هجرية توفيت تاركة لنا دورا ثقافيـا نعتز به نحن نساء العرب ونفخر به في مجال الأدب والثقافة..



أول عالمة ذرة لبنانية

سلوى نصار رغم أن الكثيرين في العالم العربي لم يعرفوها جيدا إلا أنها تعتبر عالمـة الذرة المشهود لها بالكفاءة العلمية. كما أنها لم تحظى إعلاميا بما يفي بمكانتها الرفيعة ولكنها تعتبر تاسع امرأة في العالم أجمع في هذا التخصص والتاريخ سوف يضعها في أعلى درجاته من حيث إنجازات المرأة عبر القرون.

ولدت في سنة ١٩١٣ في قرية جبلية في لبنان هي "الشوير" اشتهر والـدها بالبـساطة وحب الناس له كذلك بكثرة عدد أفراد عائلته وقد تعرضت عائلتها لكثير من الأحزان؛ حيـث توفي شقيق لسلوى وهو يبلغ ٢١ عاما، ثم توفيت شقيقة شابة لها لذلك كانت فتاة حزينة الطبع ولكنها غير عادية فعقب انتهائها من دراستها الابتدائية انتقلت إلى مدرسة المعلم فارس بـدر الذي أدهشه تفوقها في مادة الرياضيات على البنين والبنات؛ فأخذ يسعى جاهدا ليلحقها بمدرسة "برمانا" والمخصصة للذكور لكي تكمل تعليمها الثانوي وتواصل نبوغها، وفعلاً كانت البنـت الوحيدة في المدرسة؛ حيث تفوقت على جميع زملائها علميا وتأهلت لدخول الجامعة الأمريكية ليحتل اسمها لائحة الشرف وتنال المرتبة الأولى؛ حيث تخرجت في عام ١٩٣٥ حاصلة على بكالوريوس في مادة الفيزياء مع مرتبة الشرف.

ولم تكن سلوى تثقل أو تكلف عائلتها المثقلة بالأعباء مصاريف تعليمها ودراستها فقـد عملت بعدة أعمال متنوعة لتغطي نفقاتها إلا أن الوضع المالي لها حرمها من مواصلة دراستها فاضطرت للتوقف عند هذا الحد واتجهت إلى فلسطين وهي وحيدة وشـابة لتـدريس العلـوم والرياضيات في كلية "بزيت" ثم ارتحلت منها إلى بغداد؛ حيث حصلت علـى مرتـب أعلـى وواصلت اتصالها بالجامعة الأمريكية؛ حيث حصلت على منحة من كليـة "سـميث" بولايـة ماساتشوستش وحصلت على الماجستير في عام ١٩٣٩ ثم تابعت اهتمامهـا بـالعلم بجامعـة كاليفورنيا وعقب أن نشبت الحرب العالمية الثانية أصبح من الصعب الحصول علـى المـواد الإشعاعية فتأثرت دراستها بذلك إلا أن تفكيرها المتفرد جعلها تغير موضوع تخصصها مـن الأبحاث الذرية إلى الإشعاع الكوني وتحصل على الدكتوراه في عام ١٩٤٥ لتكون أول عالمة ذرة عربية تحصل على الدكتوراه ونظير نبوغها الكبير بهذا القدر الذي يـشرف أيـة امـرأة عربية عرضت عليها عروضا شتى لتستمر في التدريس في أمريكا إلا أنها فضلت العودة إلى



وطنها الأصلي "لبنان" لتضع البذرة الأولى أو النواة الأولى نحو دفـع المـرأة إلـى دراسـة العلوم.. وفي كلية بيروت الجامعية أنشأت سلوى نصار أول دائرة للفيزياء والعلـوم وظلـت تتابع مشروعها وفي نفس الوقت واصلت تحصيلها العلمي لدراسة أحدث مـا توصـل إليـه العلماء في موضوع الإشعاع الكوني فسافرت عدة مرات إلى أمريكا وفرنسا للدراسـة ولكـن مقر استقرارها كان لبنان حيث وهبت عمرها لدراستها إلى حد إنها لم تتزوج.. وفـي عـام ١٩٦٥ انتخبت رئيسة لكلية بيروت الجامعية إلا أنها لم تستمر إلا سنتين حيث انتخبت رئيسة لكلية بيروت الجامعية إلا أنها لم تستمر إلا سنتين حيث أصابها داء عضال لم يمهلها كثيرا من الوقت وفي عام ١٩٦٧ أسلمت الروح بعد صراع مرير مع المرض وكانت لا تزال فـي أوج عطائها الفكري والإنساني.. ومن مشاور حياة سلوى نصار نستطيع أن نستنتج ونخاص إلـى أنها امرأة أفنت شبابها في خدمة العلم وتحصيله، ومن ثم فإنها كرست نفسها في رسالة نبيلـة جعلتها ووضعتها هدف حياتها الذي سعت إليه وهي دفع المرأة نحو العلـوم بقـوة وعـزم.. وكانت العالمة العربية الوحيدة التي مثلت لبنان في مؤتمرات دولية للذرة وسجل اسـمها فـي الموسوعة الحاملة لأسماء علماء الذرة في العالم، واعتمدت كتبها لتدريس الفيزياء في بعـض الجامعات الأمريكية، كما شاركت في تأسيس وإدارة أكثر من اثنتي عـشرة مؤسـسة محليـة وعالمية، كما سعت إلى إنشاء أول مجلس للأبحاث العلمية في لبنان وكانت من أبرز أعضائه.

وفي آخر لقاء صحفي معها كان لها رأي في المرأة حيث قالت "إن المرأة لا تـستخدم أكثر من ثلث الطاقة الفكرية التي أعطيت لها، ومن واجـب المعاهـد والجامعـات تـدريبها وتوجيهها حتى يتم لها استخدام كل طاقتها وإنماء معظم مواهبها"..

لقد كانت سلوى نصار تحلم لبلادها بمستقبل أكثر إشراقًا، ولنقرأ معـا بعـض الأوراق التي وجدت بين معادلات الفيزياء والكيمياء الخاصة بها.. أوراق بخط يدها والتي دونت فيهـا الآتي:

"أتصور لبنان ١٩٨٧ وفيه":

١) لكل مدرسة مختبر ومكتبة.

٢) متحف علمي شامل يخصص منه جناح تام التجهيز الآلي كمختبر مركزي.

٣) معهد للأبحاث فيه العلماء الأكفاء ويشرف عليه المجلس الوطني للأبحاث العلمية.

إن التكهن بالأمور العلمية صعب جدا لذا أجد نفسي مـضطرة لأن أشـرك الاسـتنتاج بالتمني والرغبات".

وهكذا رحلت سلوى نصار قبل أن ترى لبنان عام ١٩٨٧ وقد طحنتها الحرب الأهليـة وقبل أن ترى التاريخ يلقي بها في زاوية بعيدة منسية من ذاكرته ولهذا اقتربنا منها لنقول كلمة



حق في عقلية علمية فذة حتى لا ننسى أبدا دورها العملاق.. وحتى لا تطمس مكانتها الفريـدة بين صفحات التاريخ.. ولهذا نضيء لها صفحة خاصة بها.



أول عالمة ذرة مصرية

هي أول عالمة ذرة مصرية.. ذاع صيت كفاءتها العلمية المتفردة.

والبداية كانت الميلاد.. فقد ولدت عالمة الذرة المصرية سميرة موسى في مارس ١٩١٧ ثم لقبت بـ "مدام كوري المصرية" نسبة إلى عالمة الذرة البولندية مـاري كـوري مكتـشفة الراديوم.

وقد ولدت سميرة في قرية صغيرة بوسط الدلتا.. وعاشت في أسرة متوسطة لتتتلمذ في بداية حياتها في كُتاب القرية؛ حيث حفظت القرآن الكريم. وقد أثارت هذه الطفلـة الـصغيرة الانتباه بذاكرتها المذهلة وبقدرتها الهائلة على الحفظ فصمم والدها على أن تكمـل تعليمهـا.. فالتحقت في عام ١٩٢٨ بمدرسة بنات الأشراف لتتتلمذ على يد ناظرتها نبوية موسـى التـي أحست بالموهبة العلمية الفذة لطالبتها فأنشأت لها معملاً خاصا لتمارس فيه تجاربها.

هذا وينبغي أن نذكر أن سميرة أيضا قد ألفت سميرة في وقت مبكر من حياتها كتابا عن الحساب وطبعته على نفقتها الخاصة فكانت أولى مؤلفة تقوم بذلك.

كما حصلت سميرة على البكالوريا بتفوق فكانت الأولى على القطر ثم التحقـت بكليـة العلوم قسم الرياضة البحتة. لتتخرج أيضا بتفوق مذهل. ثم تنبأ لها د. مصطفى مشرفة العـالم المصري الكبير بمستقبل باهر وتوسط لها في خطاب أرسله إلى رئيس الجامعة آنـذاك لكـي تعين معيدة بكلية العلوم؛ حيث كان التعيين مقصورا على الرجال. وبالفعل لم تخيـب سـميرة موسى ظن أستاذها العظيم فواصلت تفوقها الساحق لتحصل على الماجستير في وقت قياسي ثم سافرت إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه – وكان اهتمامها مركـزا علـى الاسـتخدامات السلمية للذرة- وبرزت سميرة في الأوساط العلمية وقدمت العديد من الأبحاث والدراسات في الطاقة الذرية – ليتم اختيارها ضمن بعثة الفولبرايت للتبادل الثقافي بأمريكا.

ولكن هناك وضع حادث سيارة غامض نهاية لعلمها وشبابها لتلقي سـميرة مـصرعها وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها؛ إذ قفز سائق سيارتها من على حافة جبل في أمريكـا بينما كانت هي بداخلها.

لقد ماتت سميرة في ريعان الشباب دون أن تكمل ما بدأته لبلادهـا.. ويـزال حـادث السيارة الغامض مثارا للشكوك؛ إذ إنه لم يحسم بطريقة نهائية حتى هذه اللحظة.

ويبقى دورها كأول عالمة ذرة مصرية محفورا في سجل العمالقة في التاريخ.

أول شهيدة في الإسلام

لم تكن سمية عالمة عبقرية أو مخترعة يشار إليها بالبنان أو أديبة فذة، بل كانت إنسانة عادية دفعت حياتها ثمنًا هينًا لما تؤمن به.

تدخل سمية من بوابة التاريخ مع بداية الدعوة الإسلامية حينما آمنت هي وولدها عمـار بن ياسر وزوجها بالدين الجديد.. وبرسول ا ﷺ فكانت سابع من آمن ودخل الإسلام.

ومنذ تلك اللحظة انقلبت حياتهم رأسا على عقب. فمنذ أن جهر آل ياسر بإيمانهم حتـى بدأ رينو مخزوم – القبيلة التي عاش في حماها آل ياسر قبل الإسلام- يذيقونهم العذاب ألوانًـا فأخرجوهم – إلى جبال خارج مكة وأوثقوهم وتركوهم تحت أشعة الشمس المحرقة بلا مـاء ولا زاد..

وقد ظلت سمية وهي العجوز الضعيفة صابرة مؤمنة تتحمل من العذاب مـا لا طاقـة للرجال الأقوياء به في سبيل عقيدتها وإيمانها با وبرسوله.

كان من المهانة وقتها – لكرامة الرجل العربي أن تعذب امرأة علـى مـرأى ومـسمع الناس ولكن الصبر والبطولة التي تحلت بهما هذه المرأة العظيمة زادا من ثـورة المـشركين فزادوها عذابا.

وحين رأى أبو جهل ثبات سمية على إيمانها اشتط غضبا فهجم عليها وطعنها بحرية في قلبها فماتت شهيدة.

وكان رسول ا ﷺ يمر بآل ياسر فيراهم يعذبون فيقول لهم: صـبرا آل ياسـر فـإن موعدكم الجنة.

وقد استشهدت سمية بنت خياط قبل الهجرة فكانت أول شهيدة في الإسلام، وعندما هاجر المسلمون.. وانتصروا في غزوة بدر التي شهدت قتل أبي جهل قال يومها النبي ﷺ لعمار بن ياسر: قتل ا قاتل أمك..

وهكذا تحولت سمية بنت خياط إلى رمز للبطولة في سبيل العقيدة.. ورمز للاستـشهاد في سبيل الإيمان الحق..



أول عالمة رياضيات

هي أول امرأة تخوض مجال الرياضيات، فقد فتحت مجالاً في عصر كان ينظر فيه إلى قدرة النساء العلمية بنظرة شك وتوجس – لكنها خاضت وحققت نجاحا وأكدت ذكـاء النـساء المساوي لذكاء الرجال، ونالت أعلى شرف علمي في عصرها حين حـصلت علـى جـائزة بوردن من الأكاديمية الفرنسية، وهي أول امرأة تحصل على درجة الـدكتوراه فـي مجـال الرياضة التحليلية، وأول امرأة تنتخب في أكاديمية العلوم بسانت بترسبورج بروسيا حتى قال عنها الفيلسوف الروسي كيركوف: أنها شيء خارق.

وتروى في برلين قصتها مع البروفيسور وإيراستراس الـذي يلقـب بـأبي الرياضـة التحليلية الحديثة؛ إذ إنه في عام ١٨٧١ في مكتب البروفيسور ببرلين تقدمت شـابة روسـية صغيرة مهاجرة تبدي رغبتها في العمل معه والدراسة في مجال الرياضيات على يديه بـسبب حظر التحاق النساء بجامعة برلين فظن البروفيسور أن الفتاة تقول نكتة لأنه يدرس الرياضيات للطلبة المتفوقين الراغبين في الحصول على الدكتوراه، فأجابته الفتاة "أريد أن أحـصل علـى شهادة في الرياضة التحليلية ويقولون أنك ضليع في المعادلات الجزئية وهنـا دهـش العـالم بسماعه امرأة تتحدث في هذا الموضوع وأعطاها بعض المسائل الرياضية شـديدة التعقيـد، ولدهشة الرجل وجدت الحلول صحيحة وأثبتت ذكاء نادرا ينم عن عبقرية يندر وجودها بـين زملائها من الرجال فتنبأ لها بأنها ستحصل يوما على أعلى جائزة علمية عالمية في عـصرها وهي جائزة بوردن من الأكاديمية الفرنسية وبالفعل حصلت سونيا على الجائزة ولم تكن فقـط أول امرأة تحصل على هذا الشرف، بل إن الأكاديمية تأثرت بنظريتها حول دوران الأجـسام الصلبة التي تتضمن حل مسألة طالما حيرت أعظم عباقرة الرياضيات حتى أنهـم ضـاعفوا الجائزة لها إلى ٥٠٠٠ فرنك! وترجع البداية في موسكو حيث كان رائدها جنرالاً روسيا فـي المدفعية الروسية لكنها أحست دائما أنها طفلة غير مرغوب فيها ولم تشف قط من هذا الشعور الذي دفعها لإثبات تفوق المرأة فسافرت لاستكمال تعليمها في سانت بتـر سـبورج وهنـاك تزوجت من فلاديمير كوفالفسكي حيث أكملا دراساتهما في جامعة هيـدلبرج. وهنـاك لمـع نبوغها الرياضي وقدرتها الخارقة في الرياضيات – وفي عام ١٨٦٩ سافرا إلى إنجلترا؛ حيث التقيا بالمثقفين الإنجليز مثل داروين وسبنسر وجورج أليوت وهكسلي ثـم سـافرت سـونيا



بمفردها إلى برلين؛ حيث أكملت دراستها العليا على يد البروفيسور وايرستراس، ثم تقدمت للحصول على الدكتوراه من جامعة جوتنجن وحصلت عليها لأنها قدمت ثلاث نظريات رياضية جديدة. لتكون بذلك أول امرأة تحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ألمانية – كما نشرت رواية لقيت نجاحا كبيرا هي "المصيدة الخاصة" ولما توفي زوجها منتحرا ذهبت إلى ستوكهولم؛ حيث عينت معيدة في جامعة ستوكهولم وهناك ألقت محاضرات رياضية ذاع صيتها في أنحاء الجامعات الأوروبية حول نظرية المعادلات الجزئية ونظرية الوظائف الكامنة، كما حصلت على مقعد مدى الحياة في الرياضيات من أكاديمية العلوم بسانت بترسبورج، وبدأت تركز جهودها في حث النساء على دراسة العلوم واستكمال مسيرتها الرائدة في مجال التحليل الرياضي، لكن نبوغها المتفرد انطفأ سريعا؛ حيث توفيت لأصابتها بالتهاب رئوي عن ٤١ عاما.. وعن قدرة المرأة العقلية كتبت تقول "لو كنا جميعا تلقينا نفس التعليم ونفس طريقة الحياة، لكنا جميعا أعضاء في مجتمع عظيم من المتساوين".



محررة المرأة اقتصاديًا

يعتبر كتاب شارلوت بركنز "أهم بيان نسائي كتب على الإطلاق" هذا الكتاب الذي صدر في عام ١٨٩٦ بعنوان "النساء والاقتصاد، فيه أول تحليل موضوعي حول الأسس الاقتصادية المجحفة بالمرأة وينادي بضرورة تحقيق العدالة للمرأة في المجتمـع الـصناعي ويقـدم أول اقتراحات منظمة لأخذ حقوقها عن طريق إعادة تنظيم المنزل والحياة الأسرية.. وتعد شارلوت آلان رائدة في علم الاجتماع إذ تم تطبيق نظرياتها وحلولها للأمراض الاجتماعية رغم أنهـا كانت سابقة لعصرها. وهي التي نادت كما ألقت الضوء على مبدأ هام أثبت الـزمن صـحته وهو "إن الاستقلال الاقتصادي هو مفتاح تحرير المرأة".

ونقطة البداية تجعلنا نعود إلى طفولتها إذ لاحظـت شـارلوت منـذ طفولتهـا الظلـم الاجتماعي الواقع على المرأة بصفة عامة، واعترضت عليه، ولم تكن تدري إنها حين تكبـر سوف تتصدى بالرأي والعلم والحجة لكـل المفـاهيم الاجتماعيـة والـسياسية والاقتـصادية والمعنوية الخاصة بالمرأة في القرن ١٩ – وإن يكون قدرها هو اقتحام هذه الأغلال المزمنـة وتلك الضغوط القهرية التي تعوقها عن أداء دورها في المجتمع. وفي سنوات الدراسة الثانوية هوت شارلوت دراسة الفلسفة والطبيعة والتاريخ الطبيعي، ودائما كانت تحـس بالنديـة مـع أقرانها من الشباب من حيث الذكاء والرغبة في المعرفة. ثم في عام ١٨٨٢ تزوجـت للمـرة الأولى لكنها انفصلت عن زوجها وبدأت مرحلة طويلة من الانتقال في أنحاء الولايات المتحدة أخذت خلالها تحاضر في الجامعات وتكتب في الصحف وتعلم نفسها الاتجاهات الثقافية السائدة مثل الاشتراكية والداروينية وكيفية تحرير المرأة، وأنشأت مجلة خاصة بها، كما أسهمت فـي تنظيم أول مؤتمر للمرأة في كاليفورنيا في عام ١٨٩٤ – ثم سافرت بوصـفها عـضو فـي الحزب الاشتراكي إلى لندن؛ حيث شاركت في المؤتمر الاشتراكي الدولي فـي عـام ١٨٩٦ وهناك التقت ببرناردشو وسيدني ويب وليستروارد أول عالم اجتماع أمريكي؛ مما كان له أثر كبير على فكرها، ثم نشرت كتابها "النساء والاقتصاد" الذي أثار ضجة في الأوساط الاجتماعية والاقتصادية لأنه ناقش حاجة النساء للعمل خارج المنزل.. مؤكدة أن هذا النـشاط هـو أولاً مصدر للتطوير العقلي وهو ثانيا ضرورة اقتصادية عملية وقالت فيه إن الاستقلال الاقتصادي للمرأة ضرورة اجتماعية، كما لاحظت الاتكالية المشروطة للنساء على الرجـال، وقالـت إن



الهزال الواضح في مهارات المرأة غير المنزلية يضر بكلا الجنـسين اقتـصاديا واجتماعيـا ومعنويا ونفسيا – ومن أجل تحرير المرأة من منزلها اقترحت عددا من الإصلاحات الجذريـة في الحياة العائلية؛ فاقترحت إنشاء حضانات مركزية ومراكز للخـدمات اليوميـة كالمغاسـل ومراكز عمال النظافة وتطبيق نظام المربيات لأطفال العاملات لمساعدة العاملة علـى القيـام بأعباء العمل المنزلي، وقد كان نظام المربيات مقصورا حينذاك على النساء الثريـات لكنهـا وضعت الحلول العملية لحل مشاكل العائلات المتوسط والفقيرة. وهاجمت المعدات التكنولوجية الحديثة لأنها تسهل عمل المرأة بداخل المنزل وتضيف كمية الأعباء الداخلية عليها.

كذلك هاجمت نظرية النجاح الأمريكية المرتبطة بجمـع المـال وكثـرة الكماليـات – واقترحت فكرة التعاون الجماعي- للنهوض بالمجتمع وتوسيع حجم الخدمات الإنسانية.. ولقـد كان هذا الكتاب الذي حدد مشاكل المجتمع الحديث أول كتاب عن أوضاع المرأة بلغـة علـم الاجتماع بعيدا عن البلاغات اللفظية، لهذا كان له أثر مباشر وفوري فـي أمريكـا وإنجلتـرا وترجم إلى ٧ لغات منها الروسية واليابانية والمجرية وفي عـام ١٩٣٢ أصـيبت شـارلوت بسرطان الثدي؛ فانتحرت في عام ١٩٣٥ وقبل أن تنتحر كتبت تقول "عندما تنعـدم فائـدتك للناس، وعندما تتيقن من وفاتك فمن أبسط حقوقك أن تختار وفاة سريعة، سهلة بدلاً من وفـاة طويلة رهيبة".

وهكذا توفيت شارلوت.. ولكن رغم نهايتها المأساوية البائسة التي قد لا تتفق معها فـي مسألة انتحارها أو مع عبارتها الأخيرة التي كتبتها قبل رحيلها في يأس أليم إلا أننـا نتوقـف عندما تركته للبشرية من تراث في علم الاجتماع وريادة في مجال المرأة ومحاولة لإصـلاح أحوالها المعيشية.. إن شارلوت يقف عندها التاريخ كرائدة في علـم الاجتمـاع وكمـصلحة اجتماعية في مجال شئون المرأة.. وقد طبقت فيما بعد نظرياتها التي كانت سابقة لعصرها.



رائدة الرواية النفسية

قد تتحول الأحزان إلى تجمع بركاني عميق يفجر في الإنسان طاقات الإبـداع والخلـق والعلم..

أو قد تحوله الأحزان في حياته إلى كيان خامد محبط لا شأن له..

هذان الوجهان للحزن استطاعت الأديبة الشهيرة شارلوت برونتي أن تختـار الجانـب البناء منهما..

فقصة حياتها المأساوية المتعددة الآلام والأحزان قد تحولت إلى ملحمة مـن الـصعود والبناء بل إنها تركت رواية واحدة شهيرة جعلتها من أشهر أدباء القرن التاسع عشر في العالم حيث فجر الحزن طاقات الإبداع التي كانت بداخلها..

وأطلق الألم زفرات سكبتها في قصص خالدة.. فكانت بحق رائدة الرواية النفسية التـي تحولت إلى فيلم سينمائي أنتجته السينما العالمية والعربية.. هي رواية جين إير التي درسـت أيضا في العديد من كليات الآداب في العالم..

ولنلقي الضوء على قصة حياتها لنعرف بعضا من محطاتها العصبية..

فلقد ولدت شارلوت برونتي في إنجلترا في عام ١٨١٦ – بعد عام من معركة واترلـو التي أنهت الحرب بين نابليون وولنجتون بفوز ولنجتون الـذي كـان واحـدا مـن أبطالهـا المفضلين..

في ذلك الوقت كانت شارلوت تهتم بالسياسة وتتابع أخبار الحروب ومسيرة العالم مـن حولها.. وفي شمال إنجلترا حيث كانت تعيش شارلوت حدثت تغييرات كبيرة؛ حيث كان الناس وقتذاك يعملون بالزراعة وكان المجتمع ريفيا، ولكن بعد وأثناء حرب نابليون أصبح للصناعة أهمية كبرى وصارت وسيلة مربحة للمكسب.. وألقت بتأثيراتها على المجتمع بـشكل لافـت للنظر..

وظهرت طبقة جديدة اعتمدت ثروتها على الصناعة وبدأ أفراد هذه الطبقة الجديدة التي أظهرتها شارلوت في قصتها "جين إير" في شراء الأراضي وبناء البيوت الجميلة الأنيقة.. وقد أظهرت في قصتها "جين إير" هذه الطبقة من خلال بطل القصة والذي وصفته بقولهـا "إنـه رجل عصامي نشأ في وسط العامة"..



وقد عملت شارلوت كمربية في فترة من حياتها؛ حيث كانت هذه هي المهنـة الوحيـدة المحترمة المتاحة أمام الفتيات اللاتي تلقين تعليما جيدا، غير إنها كانت تريد هـي وإخواتهـا افتتاح مدرسة خاصة بهن لكي يعملن بشكل مستقل بدلاً من العمل كمربيات.. والذي وجدتـه شارلوت عملاً متواضعا بالنسبة لطاقاتها.. ولا بد أن نقول إن والد شارلوت كان قسيـسا وأن لها ٥ أخوات هن ماريا وإليزابيث وإميلي وآن... وبرونويل (صبي).

وقد عاشت وسط عائلتها في يورك شاير وفي عام ١٨٢١ توفيت أمها بعـد أصـابتها بالسرطان.. وجاءت الخالة إلى المنزل لترعى العائلة ولتظل الأم العطوف والصديقة إلى أولاد شقيقتها اليتامى حتى وفاتها في عام ١٨٤٢ وقد كان الأب عطوفًا على بناته ولكنـه متحفظًـا معهن.. ثم أرسل ٤ من بناته إلى مدرسة للبنات لينلن قسطًا جيدا من التعليم..

ولكن نتيجة لسوء التغذية بالمدرسة بالإضافة إلى رطوبة المكان والنظام القاسـي بـين جدرانها. سقطت ماريا وماتت بعدها بشهرين ثم مرضت أيضا إليزابيث وماتت بعدها بشهر.. فعادت كل من شارلوت وإميلي إلى المنزل ورفضتا العودة إلى المدرسة مرة ثانية..

وفي عام ١٨٢٦ بدأت شارلوت تصنع لنفسها عالما سحريا خياليا وبدأت في كتابة مجلة بعنوان "مجلة الشباب" وعندما وصلت إلى من ١٩ سنة كانت قد تخيلت عالما خياليـا تعـيش فيه.. وأسمته "أنجريا" ثم عملت كمربية في مدينة سيدويك ولكنها كانت تعيش وحيـدة.. ثـم أدركت شارلوت أهمية اللغة الفرنسية فسافرت إلى بروكسل استعدادا الافتتاح مدرسة خاصـة بها بدلاً من العمل كمربية في بيوت الغرباء... وحين أتمت الثامنة والعشرين كانت تعيش مع أختها أميلي وترعى والدها المسن كما التقت بآرثر بيل نيكولاس وهو رجل دين كـان يعمـل مساعدا لوالدها ثم أصبح فيما بعد زوجها..

وبالفعل أعلن عن افتتاح المدرسة الخاصة بهن ولكن لم يتقدم أحد.. فبدأت الفتيات فـي كتابه الشعر في الخفاء.. ولكن تحت أسماء مستعارة. ولم يبع شعرهن سوى نسختين فقط..

لكن بعد الإخفاق تغير عالم الشقيقات برونتي إذ كتبت كل منهم قـصة خاصـة بهـا.. فكتبت إميلي برونتي "مرتفعات وذرنج" وكتبت آن "أجنس جراي". وكتبت شارلوت "الأسـتاذ" ولكن "الأستاذ" لم تجد مشتريا واحدا فطلب منها الناشر أن تكتب قصصا أخرى.. وهكذا بدأت على الفور وبحماس شديد تكتب "جين إير".. وبالفعل نشرت في أكتـوبر عـام ١٨٤٧ – ثـم صدرت في طبعة ثانية بعد نجاحها في ديسمبر.. وفور صدورها لاقت "جين إير" نجاحا كبيرا وسريعا.. وأصبحت نموذجا للرواية الأدبية النفسية التي تصور مجتمعا بأكملـه مـن خـلال نماذج أبطال شارلوت.. وهكذا أصبح اسم "شارلوت" مشهورا في الأوساط الأدبية والنقديـة.. وفي نفس الوقت ظهرت قصص أختيها إميلي وآن، ولكن سرت إشاعة من قِبل الناشر بأن كل هذه الروايات كتبها مؤلف واحد فقط معرضا سمعة شارلوت وآن وإميلـي للخطـر فقامـت



شارلوت وآن بالسفر إلى لندن وتعريف نفسيهما إلى الناشرين.. وكشف الستار عن أسـمائهن الحقيقية...

ولكن كانت لحظات السعادة في حياة آل برونتي قصيرة وخاطفة.. إذ مات شقيقها عـن ٣١ عاما مريضا بالسل.. ثم مرضت إميلي بنوبة برد شديدة وماتت في نفـس العـام.. كمـا سقطت أيضا آن مريضة بمرض السل.. كما ماتت إميلي أيضا بعدهم تاركة شارلوت وحيدة.. لأحزانها...

وبعد هدوء الأحزان قليلاً عادت إلى كتابة قصتها "شيرلي".. وظهـر اسـم شـارلوت برونتي على كل أعمالها بعد أن اختفى اسمها المستعار "كارير بيل" الذي كانت تستخدمه مـن قبل.. وأفسحت لنفسها مكانة هامة في التاريخ الأدبي...

وفي عام ١٨٥٢ أصدرت رواية "فيليت" وهي قصة قريبة الشبه بحياتها.. وقبلها كانـت قد زارت لندن ولتقت بدوق ولنجتون وزارت مجلس العموم البريطاني.. فذاعت شهرتها فـي لندن وعرف اسمها في أنحاء البلاد..

ثم قامت بآخر زيارة إلى لندن في عام ١٨٥٣ حيـث زارت الـسجون والمستـشفيات والمصحة العقلية وبنك إنجلترا ثم عادت إلى بيتها.. وتزوجت في عـام ١٨٥٤ مـن القـس الأيرلندي نيكولاس رغم رفض والدها.. وفي مارس عام ١٨٥٥ هاجمها البرد والسل وتوفيت عن ٣٩ عاما.. متأثرة بنفس المرض الذي قتل أخاها وأخواتها الأربعة... وتركت رواية خالدة هي "جين إير" جعلتها أديبة مرموقة ورائدة في الرواية الواقعية النفسية في العالم تقف في نفس المكانة التاريخية لأندادها من الرجال الأدباء الذين ذاعت شهرتهم في أنحاء الدنيا..



أول ملكة في الإسلام

هي أول ملكة بايعها المسلمون.. حكمت مصر لمدة ثمانين يوما.. وصدرت المراسيم بخطها وعليها توقيعها "أم خليل" كما صكت النقود باسمها.. ودعا لها أئمة المساجد في خطب أيام الجمعة قائلين:

"اللهم احفظ الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب والدة المرحوم خليل زوج الملك نجم الدين أيوب".

إن شجرة الدر هي امرأة لا بد أن يتوقف عندها قارئ التاريخ بكل التقدير وأيضا الدهشة.. فلقد استطاعت بذكائها وحيلتها ودهائها أن تحمي مصر والإسلام من خطر الحملة الصليبية بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع..

إن هذه المرأة استطاعت بفضل هذا الذكاء الفريد والشجاعة المنفردة والدهاء الشديد. أن تقود الجيوش في فترة انتقالية حرجة وخطيرة في تاريخ مصر.. بل إنها هزمت الصليبيين وأسرت قائدهم في دار لقمان ولم تطلق سراحه إلا بعد دفع الفدية المطلوبة..

كما أنها أيضا استطاعت أن تحرر دمياط والمنصورة من أيدي الفرنسيين (الفرنجة)..

ونعود إلى بعض المحطات الهامة في حياة هذه المرأة التي تلهب قصتها الخيال.. وتدهش العقل لكثرة المكائد والمؤامرات المحيطة بها وبحياتها.. بل هي نفسها امرأة تجيد تدبير الاستراتيجيات والمكائد والدسائس..

أن شجرة الدر هي في الأصل جارية ذات جمال وفتنة تزوجها الملك الصالح نجم الدين لتحتل لديه مكانه خاصة فور توليه العرش.. إذ بهره جمالها وذكائها إلى حد إشراكها في كثير من أمور الدولة.. وأنجبت له ولدا واحدا اسمه خليل لكنه مات..

ثم بدأ يصعد نجمها في التاريخ حين تعرضت مصر إلى حملة صليبية جديدة بقيادة لويس التاسع واستطاعت الوصول إلى دمياط وذلك في عام ٦٤٧ هـ. وهنا أرسل لويس التاسع رسولاً إلى نجم الدين طالبا منه التسليم وعدم جدوى المقاومة.. وحين وصلت الرسالة إلى السلطان كان مريضا وبعد أن أشرف على تحصين مدينة المنصورة اشتد عليه المرض فمات.. وكان الفرنجة قد احتلوا دمياط بالفعل.. وهنا أدركت شجرة الدر خطورة الكارثة المقبلة على البلاد إذا عرف الأعداء أو الطامعون في الحكم بخبر وفاة السلطان فلجأت إلى

الحيلة لإنقاذ الموقف وبالفعل أفلحت حيلتها في إنقاذ البلاد من الكارثـة المحققـة.. إذ هـداها تفكيرها إلى إخفاء خبر وفاة السلطان وأمرت بدفنه سرا ودون علم أحد واستمرت في إصدار المراسيم باسم السلطان كما قات خطه حتى لا يساور أحد الشكوك. ثم أمرت بإحـضار ولـي العهد توران شاه على وجه السرعة.. وهنا علم الصليبيون بوفـاة الملـك فكثفـوا جهـودهم لمهاجمة مدينة المنصورة احتلالها إلا أنها كانت تتوقع ذلك فقامت وبمعاونة قادة الجيش بتنفيذ الخطط العسكرية التي أعدتها من قبل لمواجهة هذا الموقف المتوقع.. وأدارت دفـة الحـرب بكفاءة نادرة.. ثم أصدرت أوامرها إلى قادة الجيش بأن يقسموا "لتوران شـاه" يمـين الـولاء باعتباره ملكًا للبلاد.. وحينما وصل تسلم منها قيادة الحرب وبعد انتصار المسلمين انتـصارا عظيما على الصليبيين لم يحفظ توران شاه ملك البلاد لشجرة الدر الجميل، بل أرسـل إليهـا يهددها وأعلن عزمه على قتل أبطال الجيش الذين أحرزوا هذا النصر الكبير.. فهربت شجرة الدر خوفًا من قتلها.. وكذلك تعمد توران شاه إهانة الأمراء فقرروا القضاء عليـه.. وبالفعـل نفذوا خطة مع المماليك وشجرة الدر انتهت بقتله.. وهنا نادى كبار رجال الدولـة والأمـراء والقضاة بشجرة الدر سلطانة على مصر.. وتم تعيين عز الدين أيبك قائدا للجند.. وهنا ينبغي القول بأن شجرة الدر حكمت مصر بكفاءة عالية لمدة ٨٠ يوما وأطلق عليهـا لقـب الملكـة عصمة الدين شجرة الدر والستر العالي والدة الخليل المستعصمية.

وقد بلغ من قوة شجرة الدر أنها أطلقت سراح ملك فرنسا بعد أن اشـترطت عليـه أن يسلم دمياط أولاً ثم أفرجت عنه بعد دفع فدية فرحل إلى بلاده بعد أن أصدر أوامـره بتـسليم دمياط إلى المسلمين.

ولكن حينما علم الخليفة المستنصر با ببغداد أن السلطان بمصر امرأة أرسل يقول إلى أمراء مصر بتهكم واضح:

"أعلمونا إن كان ما بقي عندكم في مصر من رجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل لكم من يصلح لها"!

وهنا برزت حكمة وذكاء شجرة الدر مرة أخرى.. فحينما علمت ذلك قـررت التنـازل عن العرش برضاها وحتى تجنب البلاد شر الانقسام والفرقة.. ثم أشار عليها الأمراء والقضاة أن تتزوج عز الدين أيبك ويولوه هو ملكًا على مصر فوافقت.. وتم زواجهما بالفعل في عـام ٦٤٨ هـ..

ثم أخذت القصة مسارا آخر مختلفًا.. إذ أمرت شجرة الدر بقتل زوجها عز الدين أيبـك حين علمت إنه يريد التخلص منها والاستقلال بالحكم والزواج من امرأة أخرى.. وهنا زأرت فيها شراسة المرأة حين تحس بالخيانة فحين أبلغها برغبته في الزواج مـن أخـرى قـررت الانتقام منه وكان مما زاد الأمر سوءا أنه أخرجها من القلعة إلى دار الوزارة بالقاهرة فأحست



بأنه ينوي استقبال عروسه الجديدة بالقصر وبأنه ينوي الخلاص منها.. وهكذا تم قتلـه بـأمر منها..

وحين شاع نبأ وفاة السلطان أيبك ساد الاضطراب والغضب في البلاد وتوجه المماليـك إلى القلعة فقبضوا على كل من فيها وعلى رأسهم شجرة الدر التي اعتقلوها بقلعة الجبل.. ثـم حينما تولى الحكم المنصور ابن أيبك من زوجته الأولى التي طلقها أيبك إرضاء لشجرة الدر.. قرر أن ينتقم هو وأمه (أم علي) لقتل أبيه ولمن أمرت بقتله.. وهنا جاءت النهايـة مأسـاوية درامية استكمالاً لمسلسل حياة شجرة الدر الفريد الحافل بالمكائـد والمـؤامرات إذ قتلتهـا أم السلطان منصور (أم علي) بنفسها ضربا بالقباقيب حتى ماتت بين يديها مضرجة في دمائها..

وهكذا لفظت أنفاسها الأخيرة أول ملكة في الإسلام في نهاية مأساوية مفجعة لكنها كانت حياة مليئة بالإثارة والقوة والسلطة والجاه والنفوذ والمكائد والقتل والحب والانتقام.

لكنها وسط كل هذا سجلت انتصارا عظيما لمصر على الفرنجة فدخلت التـاريخ مـن أشجع أبوابه..



أول طبيبة عربية

حظيت المرأة بمكانة عظيمة في صدر الإسلام بل إنها تفوقت في عدة مجـالات قبـل غيرها من نساء العالم.. ومنها مثلاً مجال الطب.. هذه حقيقة يذكرها التاريخ.. فلقد مارسـت العديد من النساء هذه المهنة العظيمة وعلى رأس من عرفن في هذا المجال في صدر الإسلام رفيدة وأم سليم والشفاء بنت عبد ا القرشية.. كما عرفت في عصر الأمويين زينـب طبيبـة بني أود..

والطبيبة التي نذكرها هنا باعتبارها أخصائية في علاج القرحات الجلدية هـي امـرأة ولدت في عصر الجاهلية وتوفيت في عام ٢٠ هجرية.. ٦٤٠ ميلادية وهي من أفضل النساء سواء من ناحية العقل السديد أو الرأي الرشيد.. وقد أسلمت قبل هجرة الرسول ﷺ وهـاجرت إلى المدينة المنورة فكانت من المهاجرات الأوائل وكانت الشفاء بنت عبد ا القرشـية تقـرأ وتكتب، وعندما أسلمت طاب منها الرسول ﷺ أن تعلم زوجته حفصة بنت عمر بن الخطـاب علاج القرحات الجلدية واعترافًا منه بأهمية وقيمة علمها خصص لها الرسول عليـه الـسلام دارا لتقيم فيها مع ابنها.. كما كان ذلك اعترافًا منه بأهمية المرأة المثقفة المتعلمة والمتخصصة في علاج الأبدان وضرورة وضعها في مكانة اجتماعية لائقة بها.. وقد أضيف إلـى علمهـا أيضا نتيجة لقرب الشفاء من النبي ﷺ لطرح الأسئلة عليه والحديث معه أن تحولت الشفاء فيما بعد إلى راوية صادقة وأمينة للحديث النبوي.. بل إنه بالإضافة إلى دورها في الحفظ والرواية للأحاديث النبوية فإنها قد لعبت دورا في مجال التعليم يمكن تسميته بمحو أمية المسلمين... أي أنها في صدر الإسلام كانت طبيبة ومعلمة أيضا للقراءة والكتابة في نفس الوقت..

وقد سمح الرسول عليه الصلاة والسلام للشفاء بنت عبد ا القرشية بمزاولة مهنة الطب ومداواة القروح الجلدية بعد أن شاهدها تمارسها بنفسه ورأى طريقة معالجتها لهـا.. فـأثنى عليها وعلى جهدها وسمح لها بممارسة هذه المهنة العظيمة في صدر الإسلام..

وهكذا فإن الشفاء هي أول طبيبة للقروح الجلدية في التاريخ..

وتم هذا الإنجاز بفضل مساندة من الرسول ﷺ وإيمانًا منه بـدور المـرأة وضـرورة وضعها في مكانة اجتماعية لائقة بها وبعلمها وبكفاءتها..

محررة المرأة الصينية

شنجلنج سونج هي أرملة "د. سان بات صن" الذي يلقب "بجورج واشنطون الـصين" – أما هي فلقبت "بضمير الصين" اشتهرت بقوة شخصيتها وشجاعتها وإصـرارها علـى نـشر مبادئ المساواة حتى لقبها ألد أعدائها من الرجال "أحب امرأة إلى الصين"...

قال عنها الكاتب الأمريكي "فنسنت شيمان عام ١٩٢٧" لا بد أن تقترب منهـا قبـل أن تدرك قوة الروح الكائنة وراء هذا المظهر الرقيق المرهف – ولدت شنجلنج عـام ١٨٩٠ لأم تعمل بمدرسة أما والدها فكان وزيرا ثم انضم للنشاط الثوري المعادي لحكـم عائلـة مانـشو الدكتاتوري وانضم إلى د. صن من أجل إقامة حكم ديمقراطي اشتراكي لصين جديدة يتـولى حكمها الصينيون.. لقبت منذ صغرها بالابنة المطيعة، كما تفوقت في مدرسـتها ذات الـنهج الغربي وكانت تحضر اجتماعات والدها السرية من أجل التخلص من الحكم الأجنبـي وقيـام الثورة معربة عن رغبتها في المشاركة الشعبية في الحركة.. ثم حين أتمت الثامنـة عـشرة أكملت دراستها في ولاية جورجيا بأمريكا.. وعندما قامت الثورة الكبرى في الصين في عـام ١٩١١ – أصبح د. صن صديق والدها أول رئيس لجمهورية الصين الجديدة – فنشرت مقالاً في الصحف الأمريكية تصف ثورة الصين بأنها أعظم حدث في القرن العشرين، ونادت بقيام صين متحدة وضرورة أن تؤدي أثرها المرجو في مسيرة الإنسانية، لكنها حين عـادت عـام ١٩١٢ – ارتطمت بالاضطرابات الدموية التي قامت حين حاول د. صن أن يقود ثورة ثانيـة من الجنوب، لكنه اضطر أمام قيام الحكومة الجديدة أن يفر إلى اليابان مع عائلـة سـونج – وعملت شنجلنج سكرتيرة له، وعلى أثر ذلك قامت بينهما علاقة حب وطيدة ارتطمت بـرفض عائلتها لأن صن كان متزوجا – لكن شنجلنج – أبدت رغبتها علانية في أن تكرس حياتها من أجل إنجاح قضيته في أن يكون رئيسا للصين، وبالفعل تزوجا عام ١٩١٤ في حفـل ضـيق صغير – ثم عاد الاثنان معا في عام ١٩١٦ إلى الصين ليضعا الأسس الأولى لحزب الـشعب أو الكومنتاج، وفي عام ١٩٢٠ أعيد انتخاب د. صن – رئيسا للصين للمرة الثانية أصـبحت شنجلنج السيدة الأولى في الصين وتولت بنفسها مسئولية الاتصال بمجموعات الشباب الصيني ووضعت سابقة جديدة بالنسبة لزوجات القادة السياسيين في بلادها وذلك بظهورها الدائم معـه على الساحات السياسية – وعملا معا على إرساء جمهورية الصين الجديـدة التـي يـساندها

الاتحاد السوفيتي – ولكن في عام ١٩٢٥ توفي د. صن أب الثورة الصينية لإصابته بالسرطان وتحول حزب الشعب الصيني فورا إلى الزعيمة الجديدة ذات الثلاثة والثلاثين ربيعا الأرملـة الصغيرة شنجلنج سونج؛ حيث تم انتخابها كعضو في اللجنة المركزية التنفيذية لحزب الشعب، كما انتخبت في عدة هيئات حكومية أخرى عديدة، وبالإضافة إلى هذا اسـتمرت تعمـل مـع المستشارين السوفييت والمدارس الثورية ومنذ اللحظة الأولى من وجودها على ساحة العمـل السياسي عملت على تدعيم دور المرأة في حزب الشعب؛ فأنشأت أول مؤسسة لتدريب المرأة على العمل السياسي – مما وثق صلتها بالشابات المناديات بتحرير المرأة، والذين اعتبروهـا رمزا للمرأة الجديدة والزعيمة الروحية لهم، كما افتتحت لأول مرة في الصين عددا كبيرا من عيادات تحديد النسل.. وفي عام ١٩٢٧ أنشأ الجنرال شان كاي شيك قائد جيش حزب الشعب حكومة وطنية معارضة في نانكنج حدثت على أثرها مذابح رهيبة للشيوعية، ولكن الأرملة لم تستسلم ووقفت تقود حملة شعواء ضد هذه المذابح ومن موسكو أعلنـت عـصيانها للحركـة الرجعية – رغم أن شان كاي شيك كان زوجا لشقيقتها فيلينج – إلا أنها أعلنت عدم اعترافهـا بشرعية حكمه.. واستمرت تناضل ضد حكومة زوج شقيقتها العسكرية وتدعو لضمان الحقوق المدنية لكل الصينيين وفي عام ١٩٤٧ دعاها الجناح اليساري في حزب الـشعب لأن ترشـح نفسها ضد شان كاي شيك في انتخابات الرئاسة لكنها اعتذرت لضعف صحتها.. وعندما تـم استبعاده بعد قيام جمهورية الصين الشعبية بعد ذلك بعامين بقيادة ماوتسي تونج ساندت مـدام صن القيادة الشيوعية الجديدة في خطبة علنية قائلة: لأول مرة في تاريخ الصين تتولى الأمـر مجموعة تمثل الشعب على اتساعه مكونة جبهة موحدة حقيقية تقود برنامجا موحـدا وتنـشأ حكومة ديمقراطية شعبية حقيقية.

وهكذا قدمت صورة لزعيمة جديدة لقبت "بضمير الصين" فاستحقت أن تكون من أهـم رموز الشجاعة والوطنية في العالم على مر العصور.



صاحبة نظرية علمية

سجلت صوفي جيرمان لنفسها حروفًا من نور في التاريخ وبالذات في المجال العلمـي في وقت مبكر وذلك في القرن الثامن عشر.. فهي صاحبة نظرية علمية هي نظرية الأسـطح المرنة ولكن من أجل أن تمضي في رحلتها العلمية الاستثنائية انتحلت اسم رجل وهـو اسـم السيد لوبلان..

أما البداية لرحلتها الفذة فإنها تعود إلى التسعينيات من القرن الثامن عشر والتي توضح لنا أن الإرادة تصنع المعجزات.. ولقد كانت إرادة صوفي جيرمان من قبيل صنع المعجزات.. إذ لم يكن سهلاً أن تلتحق فتاة في القرن الثامن عشر بمدرسة عليا.. ولهذا فإنه عندما أنـشئت مدرسة الهندسة العليا عام ١٧٩٤ في فرنسا قررت أن تلتحـق بهـا صـوفي منتحلـة اسـم "لوبلان".. وقد أدى نبوغها وتميزها وملاحظاتها الباهرة إلى أن يطلـب أسـتاذها (لـوي دي لاجرانج) لقاء هذا الطالب لوبلان؛ مما اضطرها هنا إلى الكشف عن تنكرها في اسم وشـكل رجل..

وهكذا دخلت بخطى متميزة إلى عالم الرياضيات.. وتعود إلى نقطة البدء فلقـد ولـدت صوفي في شهر أبريل عام ١٧٧٦ بمدينة باريس وهي تنحدر من عائلة برجوازيـة مترفـة ومتفتحة للأفكار الجديدة.. ومنذ صغرها أبدت شغفًا شديدا وولعا واضحا بالعلوم.. بل إنها في سن الثالثة عشر من عمرها قرأت "تاريخ الرياضيات" "لمونتيكلا" وهنـا قـررت الاشـتغال بالرياضة... واختيارها طريقًا وهدفًا لحياتها.. واستطاعت أن تقنع والـدها بتلـك الدراسـة المحببة إليها رغم رفضه في البداية.. ولكنه سرعان ما اضـطر للإذعـان أمـام إصـرارها واختيارها لدراسة العلوم إلى درجة أنه أهداها كتاب "دروس في حساب التفاضـل والتكامـل" الذي نشر في عام ١٧٨٧ – ثم ما لبثت صوفي أن تخصصت في أبحاثها العلمية حول أعمال العالم "بيير دي فيرما".. وأجرت أبحاثها في الأسطح المرنة.. ورشحتها هذه الأبحاث للفـوز في مسابقة نابليون الأول" بل إنه بفضل هذه الأعمال العلمية العظيمة المبهرة استطاع المهندس "إيفل" تشييد برجه الشهير بعد ذلك بحوالي ٨٠ عاما.. وهكذا ارتبط اسم صوفي جيرمان بأكبر المفكرين والعلماء في عصرها.. كما جاء في موسوعة المخترعات ومـنهم العـالم الألمـاني العظيم "جاوس" والذي ظلت تراسله لعدة سنوات باسمها المستعار "لوبلان"..



هذا ولا بد أن نذكر أن صوفي جيرمان هذه العالمة الفرنسية العظيمة السابقة لعـصرها توفيت في عام ١٨٣١ عن عمر يناهز ٥٥ عاما.. وهو نفس العام الذي تمكن فيـه صـديقها العالم "جاوس" من إقناع جامعة "جوتنجن" الألمانية بمنحها الدكتوراه الفخرية.



أول امرأة تدور حول الأرض

كانت فالنتينا مسكونة بحلم غريب هو أن تصبح نسرا من نسور الجو.. ويا لمفارقات القدر فلقد تحقق لها هذا الحلم الغريب الفريد! لتدخل به التاريخ في القرن العشرين..

ولنبدأ من البداية.. فلقد ولدت فالنتينا في قرية مسالينيكحوفا التابعة لمدينة ياراسلافيل التي يسكنها عمال الزراعة الكادحون في الأرض.

وكان والدها يعمل سائقًا لجرار زراعي ثم مات أثناء الحرب العالمية الثانية.. وعلى أثر وفاة الأب اضطرت أمها إلى العمل في أحد مصانع النسيج.

وسرعان ما لحقت بها فالنتينا لتساعد الأسرة في مواجهة متطلبات الحياة.. ولما كان حلمها يراودها من حين إلى آخر أن تصبح أحد نسور الجو فلقد التحقت في سبيل ذلك بالفعل وتحقيقًا لهذا الحلم بنادي طيران محلي؛ حيث حصلت على المرتبة الأولى في الطيران وفي نفس الوقت بدأت تدرس في أحد معاهد النسيج لتحصل هكذا على شهادتي الغزل والطيران؛ مما أدى إلى أن ينتخبها زملاؤها في المصنع كعضو في لجنة الشباب الشيوعي.

ثم التحقت بعد ذلك بفريق القفز بالمظلات وهبطت بالمظلة ١٢٦ مرة [وكانت أول مرة يوم ٢١ مايو ١٩٥٩] وقد شجعها حلمها الساكن بين ضلوعها.. كما شجعتها خبراتها المتعددة إلى أن تتقدم بطلب إلى وحدة الفضاء الروسية التي كانت في أوج مجدها بعد أن ارتاد جاجارين الفضاء..

ولكن أحد لم يتوقع لها النجاح في مسعاها.. إلا أن المفاجأة حدثت وتم قبولها ولكن قائد الوحدة طلب منها تكتم الأمر فوافقت.. وهكذا أصبحت فالنتينا عضو في فريق الفضاء الروسي وفي الفصيلة تعرفت على أندريان نيكولاف رائد الفضاء الوحيد الأعزب الذي أصبح زوجها فيما بعد.. وفي الفصيلة تعلمت الفلك والجيوفيزياء وعلوم الصواريخ والفضاء إلى جانب التمرينات الرياضية العنيفة والتدريبات على انعدام الوزن وتحمل الضغوط العالية..

وقد تم اختيار فالنتينا للمهمة الصعب وهي أن تكون أول امرأة في التاريخ تدور حول الأرض في مركبة فضائية.. فتتلمذت على أيدي رائد الفضاء السوفييتي جاجارين، وتعرضت لضغوط في غاية العنف والتمرينات شديدة القسوة..

وفي النهاية بعد إتمام كافة الاستعدادات قامت بالفعل رحلتها على متن سـفينة الفـضاء (فوستول – ٦) – وذلك في صباح يوم ١٦ يونيو عام ١٩٦٣ – وفي الفضاء اتصلت بزميلها رائد الفضاء فاليري بيكوفسك والذي كان على متن سفينة الفضاء (فوستوك – ٥). ثم عـادت إلى الأرض بعد أن قضت ثلاثة أيام في الفضاء الخـارجي؛ حيـث دارت ٤٩ دورة حـول الأرض...

وفي يوم ٢٢ يونيو ١٩٦٣ منحت وسام لينين وميدالية النجمة الذهبيـة وشـارة رائـد الفضاء الطائر..

وفي نوفمبر ١٩٦٣ تزوجت أندريان نيكولاف وحضر حفل زفافها الزعيم الـسوفييتي الأشهر خروشوف بنفسه..

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فالنتينا زارت مصر فـي ينـاير ١٩٧١ ومعهـا زوجهـا وبرفقتهما رائد الفضاء سيفا ستا نوف؛ حيث تم تكريمهما في مصر بواسطة الرئيس الراحـل أنور السادات الذي أهداهم واحدة من أرفع الأوسمة المصرية وهي قلادة النيل..



أم الثورة الروسية

ولدت كاترينا في عام ١٨٤٤ في لننجراد من أب أرستقراطي وأم من عائلة بولندية نبيلة.

وفي سن السادسة عشرة حين أصدر القيصر ألكسندر الثاني مرسوما ملكيا بترحيل العبيد الذين يبلغ عددهم ٤٠ مليون فرد ليواجهوا الجوع والعراء تأثرت بالمشاهد المؤلمة للقتلى والمعارضين الذين تم جلادهم علنًا؛ فذهبت لمقابلة الشباب الثائرين المجتمعين في مدينة سانت بترسبورج وكانت في البداية تؤمن بضرورة التغيير بالطرق السلمية.

لكنها ما لبثت أن رأت عدم جدوى التغيير بالطرق السلمية – فأعلنت لزوجها أنها ليس في مقدورها الاستمرار في حياتها كسيدة للضيعة، وأنها لا بد أن تعيش وسط الشعب وأن تتحرك من أجل اليوم الجديد.. ودعته لأن يذهب معها لكنه رفض طلبها وهاجمها لنسيانها لمسئولياتها العائلية؛ فأجابته قائلة: "أن وعيي بواجبي تجاه شعبي من القوة بحيث لا يمكن أن تحل محله أية سعادة شخصية.." وهكذا شدت كاترين رحالها لتصعيد الثورة الروسية وجابت البلاد متخفية في ثياب الفلاحين تدعو للمبادئ الثورية. وألقي القبض عليها متلبسة – وتم عزلها في سيبريا واستمر سجنها في سجون سيبيريا لمدة ١٨ عاما حتى أعيدت إلى روسيا في سن الثامنة والخمسين، إلا أن السجن عجز عن هزيمة عزيمتها – وحين اعتلى القيصر نيكولاي الثاني آخر قياصرة روسيا العرش رفض تمويل مدارس الفلاحين وحظر إصدار الصحف غير الرسمية – فعادت إلى نشاطاتها الثورية وساعدت في تأسيس حزب الشعب الاشتراكي الثوري وظلت تجوب مع رفاقها الضواحي الروسية لمدة ٦ سنوات توزع المنشورات السرية المطبوعة في سويسرا وتحاضر عن المبادئ الثورية في الأكواخ والغرف والسقوف – وفي عام ١٩٠٤ ذهبت الأم الصغيرة للثورة الروسية؛ حيث استقبلتها زعيمات حركة تحرير المرأة وجمعت ١٠ ألف دولار لصالح الحركة الشيوعية ولدى عودتها ألقي القبض عليها مرة أخرى.. وعند قيام الثورة في مارس ١٩١٧ حملت على الأكتاف؛ حيث هتفت الجماهير الروسية للبطلة القومية، وتم اختيارها رئيسة لمجلس إدارة أول برلمان إقليمي – ولكن حين انتصر البلشفيك على الاشتراكيين نفيت إلى تشيكوسلوفاكيا – وهكذا قضت معظم حياتها في المنفى، ثم قضت نحبها في عام ١٩٣٤ حين بلغت التسعين.



ولكنها كانت بحق أحد زعماء الثورة الروسية الخالدين في ذاكرة أوطانهم.

مؤسسة علم الفلك الحديث

كارولين هيرشيل هي مؤسسة علم الفلك الحديث بالاشتراك مع أخيها ويليام هيرشـيل.. هي رائدة في فتح مجال العلوم أمام المرأة رغم كونها ضحية زمانها وظروفها القهرية المعوقة لها معظم حياتها لهذا تحتل مكانة بارزة في قائمة النساء الخالدات. وقصة كارولين تعد دلـيلاً ساطعا على أن مجال العلم والرياضيات ليس مغلقًا أمام النساء، فقد استخدمت ذكاءها الفطري في أن تعلم نفسها حتى أصبحت أول عالمة فلك في التاريخ، كما أنها سجلت اكتشافها لخمـس مذنبات وثلاثة مجرات، كما أنها بالإضافة إلى هذا كرست حياتها في مساعدة أخيها عالم الفلك الشهير ويليام في إنجاز أبحاثه الفلكية الغامضة والمعقدة؛ وهي التي أنجزت كـل الحـسابات الرياضية الدقيقة التي على أساسها وضع ويليام اكتشافاته في الفلك، كما أشرفت على شـئون المنزل وصيانة معدات أخيها الكثيرة، وباختصار كانت إلى جانب اكتشافاتها الفلكية الخاصـة وإنجازاتها في علم الفلك يد ويليام اليمنى في كل ما توصل إليـه، كمـا وضـعت كـارولين "الفهرس الخاص في الكتالوج" الذي يضم ٨٦٠ نجما، والفهرس الخاص بالملاحظات الخاصة بكل نجم في الكتالوج البريطاني، والذي نشرته الجمعية الملكية في عام ١٧٩٨.

كما نشرت الحسابات الخاصة بها ووضعت كتابا تفصيليا شاملاً يضم كـل مجموعـات النجوم والمجرات التي اكتشفها أخوها دون أن تذكر أن العديد من هذه الاكتشافات كانت هـي صاحبتها ولكن عرف ذلك فيما بعد. أما بداية قصتها فترجع إلى يوم ميلادها الذي كـان فـي هانوفر بألمانيا في عام ١٧٥٠ وفي طفولتها ظهر ذكاؤها الشديد؛ مما جعل والـدها يعلمهـا الموسيقى ثم سافرت إلى إنجلترا؛ حيث أمضت معظم سنوات حياتها بـصحبة أخيهـا أسـتاذ الموسيقى ويليام الذي كان يهوى الفلك. والذي ذاع صيته في أنحاء أوروبا حين اكتشف كوكب أورانوس في عام ١٧٨٢ وبسبب اكتشافه الفلكي اعتبر عالم الفلك الملكي لبريطانيا ثـم عـين أخته مساعدة له، وفي عام ١٧٨٢ حين سافر ويليام في مهمة علمية بدأت كارولين مـسيرتها العلمية المستقلة وبدأت تدون اكتشافاتها لاستيعاب مواهبها وطموحها؛ فانتقلت إلـى واشـنطن حيث افتتحت أول مدرسة خاصة مشتركة في العاصمة – وفي عـام ١٨٦٨ تزوجـت مـن لوكوود الذي كان طبيبا للأسنان وبعد فترة وجيزة من زواجها كانت خلالهـا تـدرس مـادة المحاماة لنفسها فتقدمت بطلب للالتحاق بكلية المحاماة بجامعة كولومبيا التي أصبحت جامعـة



جورج واشنطن فيما بعد ولكنهم رفضوا طلبها، والسبب إنها امرأة فـي التاسـعة والثلاثـين سيؤدي وجودها إلى شغل انتباه الشباب الدارسين – لكنها قبلت في عام ١٨٧١ في الجامعـة القومية للحقوق، بينما تولى زوجها إدارة شئون مدرستها – وبعد صراع طويل مـن جانبهـا قبلت في نقابة المحامين بكولومبيا – وفي سن ٤٣ بدأت المستشارة تمـارس المحامـاة فـي مقاطعة كولومبيا – وفي عام ١٨٧٥ لم يسمح لها بعرض قضيتها أمام المحكمة الفيدرالية لأنها امرأة ومتزوجة وهنا قررت أن تقود معركة من أجل حق المرأة المحامية في الترافـع أمـام المحاكم العليا ولجأت من أجل تحقيق هدفها إلى السلطة التشريعية، وكتبت عريـضة تطالـب بهذا ونجحت في إقناع بعض أعضاء الكونجرس من المتعاطفين مع قضية المرأة للتوقيع عليها وقادت حملة في أنحاء البلاد للحصول على تأييد الرأي العام. وفي عام ١٨٧٩ أجيز القـانون وأصبحت بلفا لوكوود أول امرأة تمارس المحاماة أمام أعلى محكمة قومية – وبجهودها فتحت أبواب المحاكم للمحاميات.. ولكن حين عاد أخوها بدأ يثبط من عزيمتها وطالبها بأن تكـرس وقتها لتدوين آخر ملاحظاته، لكنها أصرت على الاستمرار في مسيرتها رغم أنها لـم تحـظ بتعليم علمي رياضي مناسب، ومن أجل هذا لجأت إلى قـدرتها العقليـة الفائقـة فـي جمـع الملاحظات والمعلومات وتدوينها ودراستها بنفسها – ولولا حماس متفرد ندر أن يتوافر لامرأة في زمانها وذكاء وإصرار مستميت على اقتحام هذا المجال الجديد والمعقد لما اسـتطاعت أن تصبح أول عالمة في مثل هذا المجال، كما أنها كانت أول باحثة تحصل على منحة علمية من الملك جورج وذلك لمشاركتها أخيها ويليام في اكتشاف مجموعة أذناب جورجيـان.. وحـين تزوج أخوها استقلت عنه قليلاً وبدأت تستكمل عملها بمفردها، وأعلنت في الـسنوات التاليـة اكتشافها ٨ كواكب. وذاع صيتها كأول عالمة فلك موهوبة في أنحاء العـالم وتـدفقت عليهـا التهاني من علماء أوروبا.

وحينما توفي أخوها في عام ١٨٨٢ عادت إلى هانوفر وهي في الثانيـة والـسبعين – لكنها كرست السنوات الست التالية لرسم خرائط تفصيلية لمناطق الأجـرام الـسماوية التـي اكتشفها أخوها والتي بلغ عددها ٢٥ ألفًا.. وتقديرا لإنجازها هذا العمل الضخم منحتها الجمعية الملكية الإنجليزية ميدالية ذهبية وعضوية بها. وفي سن الثامنة والسبعين عادت إلى هوايتهـا الأولى وهي عزف الموسيقى ورعاية أبناء أشقائها حتى توفيت في عام ١٨٤٨.. وكـارولين تعتبر رمزا للمرأة المتوقدة الذكاء التي فرضت عليها ظروف حياتها أن تخدم الإنـسانية مـن خلال دور ثان – لكنها رغم قدرها هذا فإن طموحها الشخصي جعلها تتقدم الصفوف لتـصبح شريكة فعلية في تأسيس علم الفلك الحديث ورائدة في فتح مجال العلوم أمام المرأة.



أول وزيرة في أوروبا

لقبت بجان دارك أيرلندا.. وبعروس أيرلندا – كما لقبت أيضا بالابنة المخلصة لبلادها فأينما ذهب الوطنيون كانت تتقدمهم كونستانس ماركيويز في المعارك والميادين والسجون. قادت الإضرابات العمالية الأيرلندية في عام ١٩١٣. وتمرد عام ١٩١٦. وهي أول امرأة تنتخب في البرلمان الإنجليزي. وأول امرأة تشغل منصب وزيرة في أوروبا.

إذ تولت منصب وزير العمل في الوزارة الأيرلندية وحين توفيت أقيمت لها أكبر جنازة رسمية وشعبية حضرتها جموع غفيرة من العشب، كما حضرها الرئيس الأيرلندي إيمون دي فاليرا.

وكونستانس هي ابنة لعائلة إنجليزية أرستقراطية نبذت ثروتها وعائلتها من أجل الكفاح لقضيتها الوطنية، ووضحت كراهيتها للحياة الأرستقراطية ومظاهرها منذ أن بلغت الثامنة عشرة، ففي عام ١٨٨٧ بدأ ظهورها رسميا في المجتمع الأرستقراطي وقدموها إلى الملكة فيكتوريا في قصر باكنجهام، ولكنها أحست إنها ليست في مكانها الصحيح، فانضمت إلى الحركة النسائية وانضمت لجمعية تحرير المرأة ونادت بضرورة الحركة من أجل أن تحصل المرأة على حقها في الانتخاب، ثم سافرت إلى باريس لدراسة الفن؛ حيث التقت بالكونت البولندي ماركيويز فتزوجا وكونا فرقة مسرحية قامت فيها بتمثيل أدوار البطولة لكنها ما لبثت أن نبذت هذا، وبدأت مسيرتها الوطنية التي سجلها لها التاريخ.. إذ انضمت لمنظمة بنات أيرلندا وهي منظمة نسائية وطنية تدعو لاستقلال أيرلندا السياسي والاقتصادي والثقافي، وما لبثت أن انتخبت رئيسة لها. وبدأت تلقي خطبا علنية توجه فيها نداءات تدعو إلى ضرورة الحركة العنيفة من أجل تحقيق الأهداف الوطنية، وقد كرست حياتها كلها لقضية قيام أيرلندا حرة بلا تفرقة جنسية في دستورها "ورأت أن استقلال أيرلندا يكمن في تكوين حركة شبابية قوية مدربة تدريبا جيدا على فنون الحرب ووجدت ضالتها في منظمة فيانا المقصورة حينذاك على الشباب – ففتحت الأبواب للمرأة لتشارك في النشاط الثوري وقادت حملة واسعة نتج عنها اشتراك المرأة في تشكيل التاريخ الأيرلندي؛ إذ انضمت أعداد كبيرة من الفتيات إلى منظمة فيانا وبدأن يدربن الشباب على إطلاق النار والعمليات الانتحارية. وأصبح صالون "السيدة" كما أطلقوا عليها في وطنها ملتقى للوطنيين والزعماء العماليين والصحفيين الأجانب



ومركزا لطبع المنشورات التي توزع على المنازل – ثم قبض عليها للمرة الأولى فـي عـام ١٩١١ أثناء إلقائها خطبة ثورية في اجتماع شعبي لكن البوليس ما لبث أن أطلـق سـراحها، وكان الإضراب الكبير في عام ١٩١٣ الذي شاركت فيه والذي فـشل محركًـا لهـا لتـؤمن بضرورة الحركة المسلحة أمام ما رأته من عنف البوليس السياسي، لهذا انضمت كمقاتلة إلـى الجيش المدني الذي نظمه القائد العمالي جيمس كونولي واشتركت فـي التخطـيط للعـصيان المسلح الذي قام في عام ١٩١٦ وحثت النساء على الحركة لتحقيق هدف الثورة. كما تولـت قيادة مجموعة كبيرة من النساء والرجال من الثوار الأيرلنديين صمدت لمدة سنة أمام القـوات البريطانية المسلحة، لكن القوات البريطانية قبضت على قادة العصيان ومن بينهم كونـستانس وتم إعدامهم ولكنهم أبقوا على حياتها لأنها امرأة وحكم عليها بالسجن مدى الحياة، ثم أطلـق سراحها بعد صدور العفو العام في ١٩١٧ فعادت إلى نشاطها الثوري الموسع، لكـن قـبض عليها للمرة الثالثة بتهمة التحريض على الفتنة ومن وراء القضبان خاضت معركـة أخـرى فرشحت نفسها لعضوية البرلمان. وأصبحت أول امرأة تنتخب في البرلمان الإنجليزي وعندما أطلقوا سراحها رفضت الانضمام للبرلمان الإنجليزي وكونـت برلمانًـا مـستقلاً للأعـضاء الأيرلنديين، ثم عينها الرئيس إيمون دي فاليرا وزيرة للعمل. واعتقلت مرتين أثناء ذلـك ثـم قبضت عليها مرة أخرى حكومة دي فاليرا لأنهـا عارضـت سياسـته المهادنـة للإنجليـز وعارضت توقيع اتفاقية تقضي بقيام دولة أيرلندا الحرة التي تتبع مباشرة ملك إنجلتـرا، ولـم تكف عن المطالبة باستقلال أيرلندا التام وظلت تنادي بهذا طـوال حياتهـا وتحـرك الثـوار وتحرضهم وتكتب المسرحيات الوطنية لكن ما لبثت صحتها أن تدهورت ونقلت إلى المستشفى وحملها الشباب الأيرلندي حين توفيت في عام ١٩٢٧ وهم يرددون "كانت امرأة عظيمـة ذات قلب عظيم".



أول رئيسة لحكومة الفلبين

قصة استثنائية، لامرأة استثنائية هي قصة القدر والصدفة والزعامة... لحظة اختيارهـا لزعامة الشعب جاءت فجائية بلا تمهيد..

هي لحظة رفعها فيها الشعب إلى مصاف الأبطال..

إنها تمثل لحظة القدر حينما يحرك مسار إنسان.. فحينما انهمرت دموعها على زوجهـا أكينو زعيم المعارضة الذي اغتيل برصاصات غادرة لدى وصوله إلى مطار مـانيلا. قـرر الشعب اختيارها لتطيح بحكم الدكتاتور فرديناند ماركوس دكتاتور الفلبين على مدى عـشرين عاما ولتصبح هي زعيمته المختارة التي تقوده إلى ثورة الديمقراطية.

وبالفعل نجحت كورازون في الإطاحة بدكتاتور الفلبين لتتولى رئاسة الحكومـة بتأييـد ساحق من الشعب في عام ١٩٨٦.. وحققت أكينو فوزا ساحقًا في الانتخابات التشريعية التـي اعتبرها المراقبون إنها كانت أكثر الانتخابات حرية ونزاهة في تاريخ الفلبين.. كمـا كانـت خطوة رئيسية للاتجاه بالفلبين نحو الديمقراطية.. وهكذا بدأت كورازون مهمتها الـشاقة فـي حكم بلد يضم ٧ آلاف جزيرة بالإضافة إلى مشكلات طاحنة وعلـى رأسـها تقـف الأزمـة الاقتصادية التي أدت إلى تراكم الديون الخارجية وانتشار الإضرابات العماليـة والتهديـدات المتتالية للإقطاعيين من خلال الأراضي الذين هددوا بشن حرب أهلية إذا ما نفـذت حكومـة كورازون برنامج الإصلاح الزراعي.

كما واجهت تربص الجيش بحكومتها والذي تمثل في قيام تمرد عسكري قاده الكولونيل هوناسان؛ حيث قرر استيلاء على قصر الرئاسة وقتل كورازون هي وأفراد أسرتها إلا أنهـا أنقذت بأعجوبة في آخر لحظة.

أما التاريخ فيقف عندها طويلاً لأنها امرأة سباقة في التاريخ الإنساني لأنها اسـتطاعت الإطاحة بالدكتاتورية في بلادها رغم القبضة الحديدية التي سيطر بها ماركوس على البلاد هو زوجته أميلدا طوال ٢٠ عاما.. عانى فيها الشعب من الفقر والقهر.. ومن استغلالهما لثروات البلاد في الإثراء والبذخ.. والإنفاق بلا حدود من أموال الشعب المقهور...

فقد احتوى دولاب أميلدا حسبما صورته الصحافة العالمية على أكثر من ١٠٠٠ حـذاء و٨٨٨ حقيبة يد من أفخر الماركات العالمية الثمينة..



كما واجهت كورازون حرب العصابات التي شنها المتمردون الشيوعيون بالإضافة إلى تمرد بعض قادة الجيش وتردد أن هناك محاولات أجنبية وراء محاولة الانقلاب الفاشلة.. كما حاولت أن تقود حملة لإقناع المتردين الشيوعيين بالتخلي عن السلاح مع وعدها بالعفو عـنهم ومساعدتهم في الحصول على وظائف مناسبة، إلا أن زعماء التمرد رفضوا جهود الحكومـة ومبادراتها.. كما وضعت في برنامج الإصلاح الزراعي إعادة توزيع كل الأراضي المزروعة بحيث يتنازل الإقطاعيون الملاك عن تسعة ملايين هكتار من الأراضي الزراعية لحوالي ٢,٥ مليون عامل من عمال الزراعة المعوقين، وذلك في مقابل حصول مـلاك الأراضـي علـى تعويض عادل يدفع لهم على مدى ١٠ سنوات، وكان كل أمل كورازون في هـذا هـو إنقـاذ عمال الزراعة من أنياب الفقر القاسية وإنقاذ أطفالهم الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية..

كما حاولت استرداد ثروة الشعب الفلبيني المنهوبة والمهربة إلى الخراج منـذ سـنوات والتي تزيد عن ٥٠ مليار دولار.. ولكنها لم تستطع..

ثم في عام ١٩٩٢ أعلنت أكينو أن فترة حكمها هي فترة انتقالية بين دكتاتورية موروثة إلى ديمقراطية مأمولة، ثم قامت بملء إرادتها بتسليم الحكومة إلى رئيس جديد..

لكن كورازون التي كان يطلق عليها الشعب اسم كوري تظل شامخة في التاريخ لأنهـا أهم زعيمة للشعب الفلبيني في القرن العشرين؛ وهي التي استطاعت أن تنقل بلادها إلى النظام الديمقراطي..

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ بلادها قائمة على الانتخابات الحرة وذلك منذ لحظة انتخابها في عام ٨٦ وحتى انتهاء مدة رئاستها للحكومة في عام ١٩٩٢. بادئة بـذلك حقبـة جديدة في تاريخ الفلبين قائمة على فتح أبواب الحرية ومحاولة التغلب على مشاكل الفقر..



المرأة الحديدية

هي أهم زعيمة سياسية ظهرت في القرن العشرين في بريطانيا بالإضافة إلى ونـستون تشرشل.

هي ابنة البقال التي استطاعت أن تقود بلادها إلى عصر الرفاهية.

هي أول امرأة ترأس الحكومة في بريطانيا في عام ١٩٧٩.. وهي السياسية التي احتلت مكانة فريدة في التاريخ بعد فوزها ثلاث مرات متتالية لتصبح أول رئيس حكومة منتخب لفترة حكم ثالثة منذ ١٦٠ عاما بعد فوز كاسح في الانتخابات البرلمانية البريطانية..

أما أهم العلامات في تاريخها فهي كثيرة ولكن يمكن أن نقول بثقة إنها زعيمة الأسواق المفتوحة والعقول المفتوحة في القرن العشرين.

إنها المرأة التي ساعدت على إعلاء قيمة الفرد وإعلاء قيمة الرأسمالية الشعبية.. كمـا أنها كانت المحرض الذي حرك سلسلة من الأحداث الهامة المتداخلة التي أحدثت تغييرا ثوريا في خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، كما كانت شريكًا رئيسيا في تحـول سياسـة الاتحاد السوفييتي وانهيار الإمبراطورية السوفييتية وتفتت الدول تقريبا في معظم القـارات.. وتحول الدول إلى النظام الرأسمالي..

ويرجع المحللون أن نجاح خطوات تاتشر يكمن في قـوة شخـصيتها وقـدرتها علـى المواجهة وليس المهادنة.. وعلى سبيل المثال أنها اختارت المواجهة الحاسمة أمـام إضـراب عمال مناجم الفحم في عام ١٩٨٤ و١٩٨٥ واستطاعت التغلب على هذه الأزمة بعد صـراع طويل وأسفرت سياستها عن انتعاش الاقتصاد البريطاني.. ورغم الانتقـادات الحـادة التـي وجهت إليها بسبب زيادة نسبة البطالة بسبب سياستها إلا أنها استطاعت أن تخفض من حجـم التضخم الذي انخفضت نسبته إلى ٤ % بينما كانت نسبته ٢٠ % عندما تولت الحكم في عـام ١٩٧٩.

كذلك استطاعت تاتشر بسياستها الاقتصادية أن تخفض من سعر الفائدة فـي قـروض البنوك؛ مما ساعد الكثير من البريطانيين على تملك منازلهم، وبهذا اسـتطاعت خلـق طبقـة جديدة من الرأسمالية الشعبية من أفراد الطبقة العاملة والوسطى، والتي أصبحت تمتلك الحرية



على العمل والكسب والامتلاك وشراء الأسهم في الـصناعات والـشركات الحكوميـة التـي عرضت للبيع..

ونعود إلى البداية الأولى لها لنقترب أكثر من تلك السيدة الفريدة ونرى إلـى أي مـدى تقود قوة الشخصية والعزيمة صاحبتها إلى التفرد والنجاح والزعامة؟؟

إن مارجريت تاتشر أو المرأة الحديدية هي في الأساس ابنة بقال بمدينة جرانثام اسـمها مارجريت هيلدا روبرتس ولدت في ١٣ أكتوبر ١٩٢٥ وارتقت سلم التعليم الجامعي من خلال تفوقها الدراسي؛ إذ درست بمنحة دراسية مكنتها من دخول جامعة أوكسفورد والحصول على شهادتين في الكيمياء والقانون، وقادها انبهارها بالسياسة إلى أن تصبح عضو بالبرلمـان فـي سن الرابعة والثلاثين، كما كان لسرعة بديهتها وسرعتها في الكلام الفضل في أن تحصل على مقعد في الوزارة كوزيرة للتعليم في سن الرابعة والأربعين، وكان يبدو أن هذا هو قمة نجاحها المهني.. ولكن مارجريت كانت أيضا سيدة محظوظة؛ بل إن حالتها شاهدة على أهمية الحـظ في التاريخ...

ولذلك قصة طريفة إذ إن إدوارد هيث كان قد بدأ الحديث عن قيادة مدينة توري بـسبب ترك مرشح الحزب اليميني لمكانه في الدقيقة الأخيرة.. وهناك تقدمت تاتشر لتدخل في السباق وعندما أخبرت مارجريت هيث بقرارها لم يكترث حتى بالنظر فيه بل قال لها فـي كلمتـين فقط:

"ستخسرين"... ولكن كما قال أديب فرنسا الخالد فيكتور هوجو: "أنه لا شـيء يـساوي فكرة حان وقتها" وهكذا دخلت مارجريت المعركة ورتبت أولوياتها بحرص شـديد ونجحـت بالفعل.. ويبدو أن الموضوعات التي اختارتها هي التي جعلت منها امرأة استثنائية.. وأثبتـت ابنة البقال أنه ليس هناك أكثر فعالية من قوة الإرادة مزودة ببعض الأفكار الواضحة والبسيطة والممكنة.. وهي الأسواق المفتوحة والعقول المفتوحة..

وقد التقت بزوجها رجل الأعمال دينيس تاتشر الذي أنجبت منه توأماها كارول ومارك عام ١٩٥٣.. وقد ذكرت تاتشر أنها تدين بنجاحها إلى زوجها الذي كان يأمل في أن يتـزوج ربة بيت ويحيا حياة أسرية بسيطة ووصفته بأنه "الرجل المثالي" فلقد احترم طمـوح زوجتـه ونجاحها المدهش في ميدان السياسة وتنازل عن أحلامه راضيا لكي يعاونهـا بكـل حمـاس وإخلاص.. إذ إنه ساعدها في التخطيط لحملاتها الانتخابية وفي وضع الخطـوط العريـضة لحياتهما الخاصة والعامة.. أما ابنة مارجريت فإنها صحفية.. أما ابنها فيعمـل فـي مجـال الاستيراد والتصدير.



في عام ١٩٥٩ استطاعت مارجريت التي كانت عضوا بحزب المحـافظين أن تفـوز بمقعد في البرلمان.. ثم بعد عامين عينت وزيرة للتأمينات ثم وزيرة للتعليم فـي وزارة إدوارد هيث..

ثم بعد سقوط حكومة هيث بدأ الحزب يبحث عن زعيم جديد له.. وهكذا رشحت تاتشر نفسها لتفوز برئاسة الحزب في عام ١٩٧٥..

وفي عام ١٩٧٩ فازت في الانتخابات وأسقطت حكومة العمال برئاسة چيمس كالاهـان وأصبحت أول رئيسة وزراء لدولة أوروبية...

أما أقوالها الطريفة فمنها قولها:

"كنت أقيم وأنا طفلة مع عائلتي فوق دكان والدي، أما نحن اليوم فإننا أيضا نديز دكانًـا سعيدا في دواننج استريت (مقر رئاسة الوزارة)..

في يناير ١٩٨٢ اشترك ابنها مارك في سباق باريس للسيارات وتاه في الصحراء لمدة ٦ أيام دون خبر واحد منه.. لحظتها ظهرت مارجريت (الأم) على شاشة التليفزيون ووجههـا ينضح بالخوف والقلق، ثم انهمرت دموعها خوفًا على ابنها.. وهنا تعاطف معها المـشاهدون ووجدوا بعدا إنسانيا جديدا في شخصية تلك المرأة الحديدية.. التي هي في الأصل أم أيـضا.. وقبل كل شيء.



صاحبة أشهر رواية

هي على رأس أشهر الكاتبات في التاريخ.. وبالذات في القرن العشرين والغريب أن هذه الشهرة التي لم تصل إليها كاتبة أخرى في منتصف هذا القرن كانت بسبب رواية أدبية واحدة لكنها عظيمة هي رواية "ذهب مع الريح".. ولكن وراء هذه الشهرة العالمية كد وكفاح وقدر ومثابرة إلى جانب الموهبة الإلهية التي يمنحها ا للبعض ليصيروا أكثر تميزا في رحلة التاريخ الطويلة المليئة بالمفاجآت والحكايات الأغرب من كل خيال..

لنبدأ من البداية لنقترب من عالم هذه الأديبة الأمريكية العالمية، ومن خطوات حياتها ورحلة قدرها الاستثنائي.. والتي انتهت نهاية مأساوية رغم ما حظيت به من شهرة واسعة..

لقد ولدت مارجريت ميتشيل في عام ١٩٠٠ بولاية أتلانتا بأمريكا.. وبدأت حياتها العملية في عام ١٩٢١ كصحفية.. ثم تزوجت في عام ١٩٢٥ برئيس التحرير واعتزلت الصحافة.. ثم أصيبت بمرض على إثر حادث سيارة جعلها تلازم بيتها؛ فأخذت تسري عن نفسها بكتابة مشروع رواية ضخمة تصور أحداث الحرب الأهلية بين ولايات الشمال والجنوب.. واستدعى ذلك منها قراءات طويلة في المراجع التاريخية أغرقتها بين صفحاتها، وكانت ملاذًا تهرب إليه من آلام المرض وأوجاعه وملل ملازمة المنزل بسبب هذا المرض.

ويقول زملاؤها من أيام الدراسة أنها كانت دائما تلازمها الأوراق والمذكرات التي تملأها بالكتابة.

وبعد ١١ عاما من الكتابة انتهت من كتابها الضخم والذي كانت كثيرا ما تعيد ترتيب أجزاء كتابته بعد العودة إلى المراجع التاريخية اللازمة لذلك.. ولكنها عاشت مع الأحداث والوقائع تلازمها كظلها وتسيطر على روحها.. وبعد أن وصلت إلى منتصف الرواية اختارت اسم بطلة الرواية "سكارليت".. وشرعت في إعادة كتابة النصف الأول من الكتاب.. ولقد لعبت الصدفة دورها في حياتها إلى جانب العمل الدءوب والمتفاني.. إذ تصادف ذهاب ناشر من نيويورك اسمه لاثام في زيارة لأتلانتا.. وألح عليها أصدقاؤها أن تقابله لتقدم له روايتها الضخمة.. في البداية ترددت خوفًا من نتيجة اللقاء بالناشر.. ولكنها تسلحت بالشجاعة وقبل مغادرته للمدينة ببضعة ساعات اتصلت تليفونيا من ردهة الفندق والتقت به.. فوجد نفسه أمام امرأة شابة تبدو في غاية الذعر تجلس على أريكة وإلى جوارها أضخم مسودة لكتاب وقعت



عليه عيناه من قبل.. وعرضت عليه أن يقرأ قصتها إن أراد.. فاشترى لاثام حقيبة ليضع فيها أصول كتاب الأديبة الجديدة.. وفي القطار الذي أخذه إلى نيويورك بدأ في قراءتهـا.. فوجـد نفسه مستغرقًا في سطورها متما لاستكمال صفحاتها الكثيرة..

وقد نشرت الرواية في عام ١٩٣٦ وبيع منها مليون نسخة خلال ستة شهور فقط.. وهو رقم قياسي حينذاك في عالم الروايات الأدبية التاريخية.. ثم بدأ التفكير في تحويلها إلـى فـيلم سينمائي.. أصبح واحدا من أشهر الأفلام الكلاسيكية الأمريكية في العالم.. وعقدت المسابقات لاختيار البطلة، ثم وقع الاختيار على ممثلة شابة ناشئة إنجليزية غير معروفة حينـذاك هـي فيفيان لي.. وقام ببطولة الدور معها الممثل الأمريكي الراحل الشهير كلارك جيبل.. ليـصبح فيلم "ذهب مع الريح" أكبر أفلام هوليود إيرادا في تاريخ السينما في ذلك الوقت.. وذاع صيت نجومه فتربعوا على عرش قلوب عشاق الفن السينمائي.. وهكذا بفضل رواية أدبية تاريخيـة واحدة تحولت مارجريت ميتشيل إلى أشهر روائية في القرن العشرين وخاصـة بعـد نجـاح الفيلم.. ونالت من الشهرة ما لم يستطع الكثيرون غيرها أن ينالوه.. ودخلـت فـي صـفحات التاريخ الإنساني مسجلة بعملها المتفاني لنفسها صفحة من صفحات الخلود.. وللأسف لا بد أن أقول إن نهاية مارجريت كحياتها كانت مليئة بالآلام إذ توفيت في حادث سيارة في عام ١٩٤٩ لكنها تركت عملاً أدبيا رفيع المستوى لنا لنقرؤه من بعدها. ولنؤرخ لحقبة من تاريخ الحـرب الأهلية في أمريكا من خلال الفن.. ويا له من فن عظيم..



مكتشفة الراديوم

ولدت ماري كوري في بولنده.. أبوها مواطن من النبلاء كان أستاذًا لمادة الطبيعة في جامعة وارسو – ووالدتها سيدة متعلمة مديرة لمدرسة ثانوية – لكنها توفيت لإصابتها بالسل فواجهت الصغيرة حياة مأساوية منذ طفولتها.. إذ وضع أباها تحت رقابة السلطات الروسية لأنه اتهم بتدريس اللغة البولندية المحظورة لطلبته – واضطرت للعمل لتعول نفسها فعملت كمدرسة خاصة وفي عام ١٨٩١ انتقلت لتكمل تعليمها العالي في باريس مع شقيقتها وزوجها.. فالتحقت بالسوربون ودرست الفرنسية ثم نالت شهادة الدكتوراه في الرياضيات ثم نالت شهادة الدكتوراه في الطبيعة.. ثم كانت في حاجة إلى معمل تجري عليه تجاربها وأمكنها أن تحقق ذلك بعد أن تعرفت على العالم الفرنسي المرموق حينذاك بيير كوري الذي ساعدها في إجراء تجاربها في معمله وتم زواجهما في باريس في عام ١٨٩٥ بعدها انصرفا للعمل الشاق لمدة ٨ سنوات متصلة.

واستطاع الاثنان أن يكتشفا مادة الراديوم والبلوتونيوم – وبعد أربع سنوات من العمل الدءوب نجحا في تحضير كمية من الراديوم وحددا وزنها الذري.. وفي عام ١٩٠٣ حصل ماري وبيير كوري على جائزة نوبل في الطبيعة على هذا الإنجاز.. واستطاعت ماري أن تكتشف عدة استخدامات للراديوم.. وبعد وفاة بيير حصلت على جائزة نوبل مرة أخرى في الكيمياء لتكون بذلك أول شخصية تفوز بالجائزة مرتين.

ولكن رغم هذا التقدير الدولي ورغم أنها أنقذت عددا لا يحصى من الأرواح البشرية عندما اكتشفت أن الراديوم يقتل الخلايا السرطانية ووضعت أسس علم الذرة التي فتحت آفاقًا جديدة للعلماء لاكتشاف استخدامات الذرة.. فقد ظلت تعاني من سوء معاملة الفرنسيين الذين ظلوا يعدونها امرأة أجنبية.. وهي أول امرأة تدرس المحاضرات في السوربون عندما تعذر إيجاد بديل لزوجها بعد وفاته.. ومنذ عام ١٩٠٩ وحتى عام ١٩١٤ أشرفت ماري كوري على إنشاء أول معهد للراديوم.. ثم حينما قامت الحرب اخترعت جهاز أشعة يوضع في سيارات الإسعاف – وبسبب الراديوم الذي كرست له حياتها لقيت ماري مصرعها في يوليو ١٩٣٤ إذ أصيبت بسرطان الدم نتيجة لتعرضها لكميات مفرطة من الإشعاع.. ورغم أن أسماء بعض

الرجال قد أسهمت في تعريفنا بالإشعاعات الذرية، فـإن مـاري كـوري تقـف كمكتـشفة لاستخدامات الراديوم في محاربة المرض.



أول طبيبة للإعاقة عند الأطفال

"عندما كنت في المدرسة كان لدينا مدرس هدفه الدائم أن يحفظنا عن ظهر قلب قصص حياة النساء الشهيرات حتى نقلدهن. وينتهي الدرس دائما بعظة نهائية حين يسألني، وأنـت ألا تريدين أن تصبحي مشهورة؟ وذات يوم أجبته بحدة –"لن أكون مشهورة أبـدا.. إن اهتمـامي الزائد بأطفال المستقبل لن يمكنني من أن أضيف اسمي إلى قائمة المشهورات" إن هذه النكتـة المتبادلة مع مدرسها كانت تعبر في الحقيقة عن حلمها الكبير الذي استطاعت أن تحققه فيمـا بعد في أن تتولى مسئولية أطفال المستقبل وتسهم في تحريرهم وتـربيتهم وتطـوير مبـادئ تربوية ابتدعتها ووجدت صدى عالميا واسع النطاق أسهم في تنشئة وتفهـم وتطـوير نفـسية الأطفال عامة.. كذلك تعد ماري أول إيطالية تصبح طبيبة، وعرفت في التـاريخ علـى أنهـا صنعت المعجزات في عصرها مع الأطفال المتخلفين عقليا وقد ولدت ماريا مونتسوري فـي إيطاليا في عام ١٨٧٠. والدها محاسب حكومي ووالدتها أرستقراطية حظيت بتعليم اسـتثنائي بالنسبة لنساء عصرها أما ماريا فتعلمت في المدارس الإيطالية ومنذ صغرها حـصلت علـى جوائز في حسن السلوك والامتياز في الأشغال النسائية كالحياكة والتطريز.. لكنها حين أتمت الثامنة عشرة أعلنت لوالديها أنها تريد أن تلتحق بالمدارس الفنية لتصبح مهندسة وذلك لتفوقها الملحوظ في مادة الرياضة.. كان هذا الطلب منطقيا بالنسبة إلى تفوقها ونبوغها لكنه لم يكـن ملائما للنساء فحثها والداها على أن تصبح مدرسة لأنها مهنة نسائية – لكنها رفـضت بـشدة ودهش والدها أن يكون للفتاة أي مستقبل سوى أن تصبح زوجة وأمـا.. وفـي عـام ١٨٨٣ التحقت ماريا في الثالثة عشرة بمدرسة مايكل أنجلو المهنية – لتصبح أول فتاة بين التلاميـذ.. ثم في عام ١٨٨٩ أبدت رغبتها في أن تصبح طبيبة ورغم رفض والدها لذلك بشدة أصـرت الفتاة العنيدة الشديدة الإصرار على تحقيق هدفها في أن تصبح طبيبة رغم كل العوائـق بـل لاقت صعوبات بين زملائها من طلبة كلية الطب في روما الذين رفضوها باعتبارهـا كـائن غريب منبوذ بل إن الجامعة في البداية رفضت قبولها.. وحينئذٍ لجأت إلى أقوى رجـل فـي روما وهو البابا ليو الثامن الذي أعطاها موافقته الأكيدة وهكذا أصـبحت أول طالبـة تلتحـق وتتخرج من كلية الطب في إيطاليا – بل شكلت ماريا لزملائها من الشباب تهديـدا بـدرجاتها المتفوقة عليهم وبسبب الجوائز العلمية والمنح العلمية التي لم تمنح من قبل لغيرها من الطلبـة



إلا أن تلك العوائق المستمرة دفعتها لمزيد من الإصرار على النجاح، كما رفـض والـدها أن ينفق على تعليمها بعد أن جعلته أضحوكة بين أصدقائه. فأكملت تعليمها بمنحة أعطتهـا لهـا الجامعة لتفوقها وكان لتجربتها المريرة مع عالم الرجال أثر واضح عليها جعلها تكـافح فـي سبيل رفع الظلم عن بنات جنسها، والإصرار على الاستمرار في النجاح.. وحين مثلت إيطاليا في مؤتمر برلين الدولي للمرأة ألقت كلمة لقيت أصداء عالمية واسعة؛ إذ حثت النـساء علـى العمل في جميع المجالات المغلقة على الرجال، بينما في لندن ألقت كلمة عن تدريب الأطفـال الصغار.. وطوال عشرة أعوام زاولت ماريا مهنة الطب بروما وعالجت المرضـى الفقـراء بالمجان واستطاعت أن تعول نفسها بإلقاء محاضرات إضافية في علم الأحيـاء وبعـد هـذا التحقت بهيئة تدريس العيادة النفسية بروما حيث عملت كمساعدة بالمجان.. وقامت بجـولات ميدانية وكثيرة لمصحات الأمراض العقلية بالمدن الإيطالية والتي كانت حينذاك تضم في نفس المكان المرضى العقليين والأطفال المتخلفين عقليا – وبعد الملاحظة الدقيقـة اقتنعـت بـأن الأطفال المتخلفين عقليا قادرون على التعليم إذا ما أعطوا الفرصة فبدأت تستكمل أبحاثها على هؤلاء الأطفال ونشرت مقالات علمية وألقت محاضرات حول هذا الموضـوع الـشائك فـي الجامعات الإيطالية.

ثم حين عينت مديرة في مدرسة لتربية الأطفال المتخلفين عقليا بروما – بـدأت تطبـق أساليب تربوية وتعليمية معهم – فبدأت تعلمهم القراءة والكتابة مما أوصلها لنتائج إيجابية هائلة وقوبلت بنجاح واسع الانتشار بل تمكن هؤلاء الأطفال من أن يتفوقوا في الامتحانات الرسمية التي يمتحن فيها الأطفال الطبيعيون وحيت الصحف جميعها هذه المرأة التي أنجزت معجزات تعليمية رائعة. لكنها ردت قائلة – "بينما يحيي الجميع طلبتي الأغبياء، كنت أنـا أنقـب عـن الأسباب التي أدت إلى تراجع الأطفال الأصحاء والسعداء في المدارس العادية ليتـساووا فـي الدرجات مع أطفالي التعساء.. ولهذا كانت ماريا أول طبيبة تفتتح دار حضانة للأطفال؛ ممـا عرضها لمواجهة نقد من زملائها الأطباء الذين اتخموها بالانحطاط من مهنة الطب برعايتهـا للأطفال لكن كان هذا بالنسبة إليها مجالاً لتجارب جديدة تخدم بها الإنسانية وتمكنها من تطبيق أساليبها التعليمية على الأطفال العاديين. ففي البداية تولت تعليم ٦٠ طفلاً من الأطفال اليتامى المعدمين وبدأت تعلمهم كيف يطورون قدراتهم العقلية الخلاقة في هذه الـسن الـصغيرة ولا يقتصروا على تقليد مدرسيهم فقط، فأعطتهم بعض المواد الخام واللعب والتكوينات الحرفية من أجل تطوير ذكائهم واستخدام هذه المواد الخام في تشكيلات ذات معنى حتى أصبحت مدرستها مزارا يفد إليه السائحون والدارسون من جميع أنحاء العالم لمشاهدة النتائج المذهلة في مجـال التربية إذ أصبح الأطفال دون السادسة في بلادها ولأول مرة قادرين على الكتابـة والقـراءة والتركيز والموازنة بين المبادرة والطاعة.. وفي أعقاب هذا تلقت ماريا طلبات من مدارس في



مختلف أنحاء العالم لتدريب المدرسين على أساليبها التربوية.. وانتشرت مدارس مونتسري في أنحاء إيطاليا ثم في إنجلترا وأيرلندا وهولندا والدانمرك وألمانيا وفرنسا والولايـات المتحـدة والهند وباكستان، وبدأت تفتتح حضانات لأطفال تستخدم نفس أساليبها التربوية في شتى أنحاء العالم. ووضعت الأسس النفسية التي تابعها فيما بعد التربويون في مجال الأطفال الطبيعيـين والمتخلفين عقليا وأيضا حديثي الولادة – ونشرت نظرياتها عن علم نفس الأطفال في العديـد من الكتب مثل "طريقة مونتسوري" و"سر الطفولة" و"العقول الماصة".. وبعد هذا عينت مشرفة حكومية على النظام التعليمي الإيطالي وافتتحت مؤسسة "مونتسوري" التي انتشرت فروعهـا في العالم.

أما هي فكتبت أعمالها الإنسانية لها الخلود اللانهائي..



صاحبة أشهر صالون عربي

هي أديبة ذاع صيتها وملأ الدنيا منذ بداية القرن العشرين وحتى اليوم.. كانت صـاحبة صالون أدبي يلتقي فيه أعلام الأدب المصري والعربي.. كما كانت تلقي المحاضرات الأدبيـة وتحضر المؤتمرات الثقافية مما لم يكن مألوفًا للمرأة العربية حينئذٍ.

ولدت ماري إلياس زيادة في فبراير ١٨٨٦ بفلسطين في بلدة الناصرة موطن والدتها أما والدها فكان لبنانيا يعمل بالتدريس..

عندما هاجر والدها إلياس إلى مصر ظهرت ميوله الأدبية لينشأ جريدة "المحروسة".

نشرت "مي" وهي اختصار لاسمها الأصلي عدة مقالات بها ولم يكن والدها معارضا في أن تكتب، بل كانت مساندته لها وراء دخولها إلى عالم الكتابة والأدب.

كتبت مي في بداية حياتها الأدبية شعرا بالفرنسية جمعته في ديوان "أزاهير حلم".

درست مي التاريخ والفلسفة بكلية الآداب إذ إنها كانت قد تعلمت عدة لغات مـن بينهـا الإيطالية والإسبانية والألمانية وأتقنتها جميعا؛ مما أتاح لها فرصة الانفتاح على العالم بثقافاتـه المتعددة. وكان ظهور اسمها في الصحافة المصرية ملفتًا للنظر فصارت حلما يداعب خيـال كل الكتاب والمفكرين في ذلك الوقت ومن بينهم عباس العقاد وطه حـسين ولطفـي الـسيد.. والمازني ومصطفى صادق الرافعي ويعقوب صروف وغيرهم. ولأنها لم تكن تحـب اسـمها الأصلي "ماري" فقد غيرته إلى "مي" ووقعت به كتاباتها في صحيفة "الأهرام"، وغيرها..

أما الرجل الوحيد الذي أحبته مي طوال عشرين عاما فكان الشاعر اللبناني جبران خليل جبران والذي كان قد ترك وطنه وهاجر إلى أمريكا – والعجيب أنهما لم يلتقيـا ولـو مـرة واحدة- هذا الحب الرومانسي وإن كان يتفق مع طبيعة المحبين إلا أنه كان حبا بلا أمل، حبـا مستحيلاً.. ظلت مي تراسل الشاعر جبران عشرين عاما بدون انقطاع، وفي رسـائلها إليـه كانت تظهر جلية تباريح هذه العاطفة الجياشة التي لم تتحقق في الواقع فعاشت تعاني بعـذابها أيضا..

كان جبران هو الحب الحقيقي البعيد المستحيل.. وفي رسائلها الأخيرة إليه كتبت تقول:

"تعال يا صديقي، تعال، فالحياة قصيرة، وسهرة على النيل توازي عمرا حافلاً بالمجـد والثروة والحب، ولكنه لم يأت.. ولم يحدث هذا اللقاء المرتقب بحبيب القلب أبدا.

ولقد تصور الكثيرون أنها أحبتهم ولكن الحقيقة الوحيدة في حياتها كانت حبها لجبـران وولعها الفكري والعاطفي به.. وكذلك تعتبر مي زيادة.. أيضا رائدة نسائية فلقد كان صالونها الأدبي الذي يلتقي فيه المفكرون والأدباء مصنعا للأفكار المتطورة.. كما أنها كانت تكتب فـي أحوال المرأة العربية وطالبت بتعليمها وأبلغ دليل على ذلك أنها كتبت دراسة هامة عن "باحثة البادية" التي اهتمت بقضية تعليم الفتاة، كما أن مي زيادة قد أثرت المكتبة العربية بالعديد مـن المؤلفات الهامة أهمها "مد وجزر"، و"سوانح فتاة" و"كلمـات وإشـارات" و"ظلمـات وأشـعة" و"ابتسامات ودموع".

ولقد تعلمت أسرار اللغة العربية من أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد حتى أصبحت متذوقة لفنونها قادرة على الإلمام بأسرارها.. كما كانت من أشد المتحمسين لها..

أما المفكر المصري الكبير عباس محمود العقاد فقال عن صالونها الأدبي:

"لو كان قد أمكن جمع ما قيل في صالون مي لأتيح لقراء العربية مجلد علـى مـستوى العقد الفريد أو غيره من الكتب الهامة في تاريخ الأدب". لم تتزوج مي رغم عشاقها بل قالـت أنها قد اقترنت بالعلم والأدب..

وقد بدأت مأساة مي برحيل والدها ثم والدتها ثم فجيعتها بموت جبران حبيـب القلـب الأثير.. وهنا أصابها الاكتئاب الشديد والحزن الجليل فأغلقت باب منزلها.. وانعزلـت عـن الدنيا، ولم تعد تلتقي بأحد من أصدقائها، وأغلقت صالونها الأدبي الفريد.. فابتعد الناس عنهـا شيئًا فشيئًا حتى صارت وحيدة منعزلة؛ مما أتاح لأهلها الاستيلاء على ثروتها التي تركها لها والدها.. إذ لجأوا إلى استغلال حالتها النفسية السيئة واتهموها بالجنون ليتمكنوا من الحـصول على ثرواتها.. وبالفعل أخذها أهلها من مصر رغما عنها؛ حيـث اصـطحبوها إلـى لبنـان وأودعوها في مستشفى "العصفورية" للعلاج من مشاكلها النفسية والعقلية وأدركت مي مقـصد أهلها الطامعين في نهب أموالها.. واستطاعت الخروج من لبنان وعادت إلى مصر لكنها كانت غير مي الأولى قبل رحيلها عنها.. إذ أصبحت بائسة غير راغبة في الحياة وغير قادرة على التعبير الأدبي غارقة في دوامات مشاكلها النفسية.. ووقف إلى جانبها بعض أصـدقائها مـن الأدباء واستطاعوا أن ينفوا عنها تهمة الجنون ولكنها كانت قد بدأت مرحلة التدهور والانطواء والصمت إلى أن توفيت في ٢١ أكتوبر ١٩٤١ تاركة مؤلفات ذات قيمة أدبية وفنيـة رفيعـة المستوى.. جعلتها من أشهر أديبات العرب في هذا القرن.. ومن رائداته العظيمات..

وهي قبل كل هذا صاحبة أشهر صالون أدبي عربي في العصر الحديث.



الأسطورة الرياضية

في دورة مونديال بكندا في عام ١٩٧٦ صنعت نادية كومانشي التاريخ لتصبح أول بطلة في الجمباز تحصل على الدرجة النهائية ليس مرة واحدة فقط، بل ٧ مرات كاملـة بالإضـافة إلى حصولها على ٣ ميداليات ذهبية وواحدة فضية، وأخرى برونزية...

هذا ولابد أن نقول بأن هذه البطلة التي بهرت العالم في تاريخ رياضة الجمباز قد ولدت في شهر نوفمبر عام ١٩٦١ في رومانيا، وبدأت في ممارسة الجمباز منذ نعومـة أظافرهـا وذلك حين أتمت السادسة من عمرها وقد جاءت اللحظة التاريخية بالنسبة لها والتي أدخلتهـا في تاريخ الرياضة على مر العصور حينما فاجأت الجميع بأداء مذهل أمام بطـلات الفريـق الروسي في سن الرابعة عشر.. إذ أسرت القلوب بأدائها الفذ.. فقد أدت نادية على عارضـة المتوازي حركتها ببراعة وبدون أخطاء وانتظر الجميع في شغف الدرجـة التـي ستحـصل عليها..

وحين ظهر الرقم على لوحة النتائج اندهش المشاهدون إذ إن أداء نادية قد انتصر على التكنولوجيا الحديثة التي لم يكن نظام الترقيم بها معدا للرقم ١٠ أي الدرجـة الكاملـة.. لقـد حصلت نادية عليه ولأول مرة في تاريخ الجمباز حصلت على الرقم ١٠ مـن عـشرة.. ثـم حصلت بعدها على الدرجة الكاملة أيضا سبع مرات متتالية عن أدائها على عارضة المتوازي وعارضة التوازن..

وهكذا أصبحت ناديا هي أول رومانية في التاريخ تحصل على الميدالية الذهبيـة فـي الأولمبياد..

ثم شاركت مرة أخرى في موسكو في الأولمبياد وذلـك عـام ١٩٨٠ لتحـصل علـى ميداليتين ذهبيتين وواحدة برونزية..

ثم في عام ١٩٨٩ هربت نادية إلى أمريكا وتزوجت من شاب أمريكـي وأقامـت فـي أوكلاهوما وبقيت تقيم هناك؛ حيث أصبحت مدربة للجمباز وافتتحت مدرسة لتعليم الجمباز في أمريكا..

إن نادية كومانشي هي بطلة رياضية وأسطورة جميلة قهرت التكنولوجيا وبهرت العالم بأجوائها الفني الجميل والعظيم في آن واحد فدخلت التاريخ من أوسع أبوابه.



المدافعة العظيمة عن الرسول [ﷺ]

احتلت نسيبة بنت كعب مكانة مرموقة في التاريخ الإسلامي.. فقد صنعت هذه المكانـة بدورها البطولي الذي أدته في معركة أحد – وهي المعركة التي هزم فيهـا المـسلمون أمـام الكفار...

استأذنت أم عمارة الرسول (ﷺ) في الخروج إلى القتال مع زوجها وابنيها فآذن لهـا أن تخرج لتداوي الجرحى ثم بعد أن اطمأن المسلمون إلى إحراز نصر مبكر فـي المعركـة – خاصة بعد تراجع جيش أبي سفيان- خالفوا أوامر النبي ﷺ بالبقاء على الجبل واهتموا بأخـذ الغنائم.. وما أن تركوا أماكنهم حتى هجم عليهم الكفار من وراء الجبل. ولم يبق حول النبـي (ﷺ) إلا جمع قليل.. وكانت أم عمارة وزوجها وابنها في مقدمة هذا الجمع.

تقول أم عمارة عن معركة أحد: انكشف الناس عن رسول ا فما بقي إلـى نفـر مـا يتممون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه ندافع عنه (ﷺ) والناس يمرون مهزومين ورآني (ﷺ) لا ترس لي معي فرأى رجلاً يختبئ ومعه ترس فقال له (ﷺ):

ألق ترسك إلى من يقاتل. فأخذت ترسه وجعلت أدافع به عن رسول ا (ﷺ).

وقد قال الرسول (ﷺ): ما التفت يمينًا وشمالاً إلى وأنا أراها تقاتل دوني.

- ظلت نسيبة تتلقى عن النبي ﷺ الضربات وتقبل الطعنات دون أن تفارق مكانها.
- في المعركة أصيب ابنها إثر ضربة عنيفة فناداها (ﷺ) فهرعت أم عمارة إلـى ابنهـا لتربط جرحه. وبينما هي في غمرة القتال صاح بها الرسول: هذا ضارب ابنك يـا أم عمارة – فقامت وضربت ساقه حتى قتلته – فابتسم النبي قائلاً: الحمد الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينيك.
- ظلت أم عمارة تناضل وتقاتل بكل إيمان وشجاعة حتى صاح النبي: ومن يطيق مـا تطيقين يا أم عمارة؟..
- حين عاد الرسول إلى المدينة كان أول ما صنعه هو إرسال من يسأ عنها فذهب وعاد يخبره بسلامتها.



- شهدت نسيبة معركة أخرى حيث استأذنت أبا بكر الصديق في قتال مسيلمة الكذاب مع جيش خالد بن الوليد فأذن لها قائلاً: عرفنا جزاءك في الحرب فاخرجي على اسم ا . وقد جاهدت باليمامة وجرحت أحد عشر جرحا وقطعت يدها وقتل ابنها.

لقد مثلت أم عمارة نموذج المرأة المسلمة المجاهدة التي قاتلت جنبا إلـى جنـب مـع الرجل.. والتي وقفت بكل بسالة تدافع عن الرسول ﷺ في معركة أحد... عندما انتهت الحرب زارها خالد بن الوليد وطلب علاج يدها (بالزيت المغلي) فكان أشد عليها من القطـع. وكـان خالد يحسن إليها ويعرف فضلها ويحفظ فيها وصية النبي (ﷺ).

وبقيت لنا سيرة بطلة شجاعة ومحاربة إسلامية فذة لنا لترويها جيلاً وراء جيل دليلاً حيا على بطولة امرأة اسمها "أم عمارة"..

بل إنها الدليل الحي على مشاركة المرأة المسلمة للرجل في كل المجالات حتى مجـال الحرب كانت فيه مقاتلة بارعة ذات بطولة فذة"..



أول صوفية في الإسلام

- هي من أشهر أئمة الفقه الإسلامي.
- كما أنها تحتل مكانة خاصة في قلب ووجدان الشعب المصري – أحبها أهل مصر حبا جما منذ أن جاءت إلى بلادهم- وظل هذا الحب متوارثًا من جيل إلـى جيـل وحتى اليوم حيث أكبروا هذا النموذج المتفرد للمرأة الزاهـدة المؤمنـة العالمـة الفقيهة والتي نذرت نفسها للعبادة والعلم.

والسيدة نفيسة هي ابنة الإمام الحسن الأنور بن الإمام الحسن بن علي بن أبـي طالـب ولدت بمكة سنة ١٤٥ هجرية وحجت ثلاثين حجة سيرا على الأقدام وكلمـا تعلقـت بأسـتار الكعبة المشرفة بكت قائلة: إلهي وسيدي ومولاي متعني وفرحني برضاك عني فلا تسبب لـي سببا عنك تحجبني.

كانت تحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافرها وأجادت تفسيره لتحتل مكانة مرموقة بين أئمة الفقه الإسلامي. في بيتها زارها الإمام الشافعي واستمع إلى حديثها وسألها الدعاء ولمـا توفي الشافعي أوصى بأن تصلي عليه فدخلت جنازته وصلت عليه في دارها كما أوصى.

أقامت بمصر سبع سنوات وفي شهر رجب أصابها مرض شديد فكتبت إلـى زوجهـا إسحاق المؤتمن بن جعفر تطالبه بالحضور حين أحست بدنو أجلها.

حفرت السيدة نفيسة قبرها بيدها في بيتها وكانت تنزل فيه وتصلي كثيـرا.. وختمـت القرآن الكريم مائة وتسعين ختمه حتى عجزت عن الوقوف فصلت جالسة.

وفي شهر رمضان حانت لحظة اللقاء بربها التي طالما انتظرتها فبدأت في قراءة سورة الأنعام حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ **لهم دار السلامِ عِنْدَ ربهم وهـو ولـيهم بمـا كـانُوا يعملُون** ﴾ لتصعد روحها الطاهرة إلى بارئها وهي بين يدي ابنة أخيها يحيى المتوج.

عندما أراد زوجها إسحق أن يدفنها بالبقيع اجتمع أهل مصر ولجأوا إلى الحاكم عبد ا بن الحكم ليرد زوجها عن نيته فرفض.

فقاموا بجمع الأموال وسألوه أن يدفنها بمصر فأبى أيضا.. إلا أنه نزل على رغبتهم بعد رؤيته للنبي ﷺ يقول له: "رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم".



وحتى اليوم للسيدة نفيسة مسجد عظيم يذهب إليه المسلمون للصلاة واسمه مسجد "السيدة نفيسة". وهو من أشهر مساجد القاهرة رضي ا عنها.

إن السيدة نفيسة هي الرمز الحي على مكانة المرأة العظيمة كفقيها في ظل الإسلام.

الفتاة الذهبية

نوال المتوكل.. الفتاة الذهبية التي حصلت على ميدالية ذهبية في سباق ٤٠٠ م حواجز لتصبح أول فتاة عربية تحصل على ميدالية ذهبية في تاريخ الأوليمبياد وذلك بلوس أنجلـوس في عام ١٩٨٤ ولتصبح أيضا صاحبة أول ميدالية يحصل عليها العرب مجتمعين فـي تلـك الدورة فقد حققت نوال ما عجز عن تحقيقه مئات الرجال في العديد من البعثات العربية حيـث لم تحصل أية دولة عربية على أية ميدالية طوال الدورة رغم اشتراكها فـي ألعـاب عديـدة وجاءت نوال المتوكل لتحفظ ماء وجه العرب وتحقق انتصارا عربيا رائعا.. ولم تفـز نـوال بالميدالية الذهبية فقط في سباق ٤٠٠ م حواجز بل سجلت رقما أوليمبيا جديـدا وهـو ٥٤,٦١ ثانية.

ونوال المتوكل كانت تدرس وقتها في إحدى جامعات أمريكا.. وعندما كان عمرها ١٣ عاما أصيبت ونصحها الأطباء بمزاولة الجري كجزء من العلاج فأخـذت تمـارس الجـري كعلاج وبعدها دخلت ميدان المنافسة. وفي عام ١٩٨٢ أثارت الانتباه بأدائها القوي الرشيق في بطولة إفريقيا لألعاب القوى بالإسكندرية وفي دورة البحر المتوسط عام ١٩٨٣ والتي أقيمـت بالمغرب فازت نوال بميدالية ذهبية فكانت أول فتاة عربية تفوز بميدالية ذهبية في دورة ألعاب البحر المتوسط – بعد الفوز قالت نوال: أهدي فوزي هذا إلى روح والدي الذي افتقدته مؤخرا ولبلادي المغرب وإلى كل عربي.

وقد قال الكاتب الصحفي الكبير مصطفى أمين عن نوال وقتها:

لقد استطاعت فتاة عربية أن تبيض وجوه العرب جميعا فقد حصلت نوال على ميداليـة ذهبية هي الأولى من نوعها في تاريخ الأوليمبياد فاستحقت التكريم الهائل الـذي نالتـه فـي بلادها.. فقد اتصل بها فورا الملك الحسن ملك المغرب تليفونيا وهنأها بالفوز وقطعت إذاعـة المغرب برامجها لتعلن النبأ الذي رفع رأس العرب جميعا. أما الناقد الراحل نجيب المستكاوي فقد كتب وقتها يقول: التحية التي أوجهها للبطلة الذهبية نوال المتوكل ليست فقـط لأنهـا أول عربية تحصل على ميدالية أوليمبية بل لأنها مثال يحتذى ويمكن أن يقـضي علـى التخلـف النسائي الرياضي العربي.



إننا نريد من الفتاة أن تمارس الرياضة لأنها ستكون أما في المـستقبل والأم الرياضـية سوف تدفع أولادها لممارسة الرياضة فيخرج العرب من نطاق التشجيع والتصفيق إلى نطـاق الممارسة!

وقد شغلت نوال المتوكل منصب وزيرة الشباب والرياضة في المغـرب. هـي بطلـة رياضية يفخر بها كل عربي..



محررة الزنوج

كانت ضمير أمة، هكذا أعلنوا في الولايات المتحدة عند إصدار طابع تذكاري تكريمـا لهارييت في فبراير عام ١٩٧٧ – وقد صدر هذا الطابع في ذكرى "تاريخ الأسبوع الأسـود" لأن هارييت تعد من أبرز الوجوه في تاريخ الزنوج السود.. كانت سائقة لقطار الأنفاق الـذي كان يقود العبيد الهاربين إلى الأمان والحرية قبل الحرب الأهلية الأمريكية.. وكانـت تعلـن باعتزاز وسط الخطر "لم أفقد قطاري خارج القضبان ولم أفقد يوما راكبا واحدا".

وقد ولدت هارييت فوجدت نفسها عبدة يمتلك البيض أفراد أسـرتها ويتحكمـون فـي مصائرهم وهي واحدة من ١١ طفلاً في مستعمرة باكتاون بميريلاند.. جر عليها شـدة سـواد بشرتها وخشونة شعرها وملامحها الزنجية البارزة اضطهاد العائلة التي تمتلكهـا فأرسـلوها بعيدا عن أسرتها منذ سن السادسة لتتعلم صناعة النسيج، فافتقدت أمها منذ سن صغيرة ونالت أسوأ معاملة. وما لبث صاحب العمل أن أعاد الطفلة المشاكسة إلى أصحابها.. وذات يوم حين بلغت الثالثة عشرة أمرها رئيس العمال بأن تجلد بقطعة غليظة من الحديد عبدا مقيدا في وتـد عال فرفضت هارييت طاعته بشدة.. فأمسك بعصا من الحديد ليجلـدها فارتطمـت برأسـها وأصابتها بكسر في الجمجمة وسببت لها عاهة في مخها ظلت تعاني منها طوال حياتها وجرت عليها أقصى أنواع المعاملة؛ حيث كانت تصاب بحالات نوم فجائية طويلـة دعـت مالكيهـا يتهمونها بالكسل والتخاذل فيضاعفون من قسوتهم تجاهها..

حين بلغت الرابعة عشرة عملت في الحقول في حرث الأرض وقطـع الأخـشاب مـع الرجال؛ مما قوى من بنيانها وشد من عودها وزودها العمل الشاق بقدرة هائلة علـى تحمـل المشاق والصعاب.. وفي عام ١٨٤٤ تزوجت عبدا زنجيا هو جون توبمان وفي عـام ١٨٤٩ توفي سيدها فعرضت للبيع هنا ثارت هارييت، ومما شجعها على الثورة أنها كانت تسكن فـي قرية ترى فيها خطًا يفصل أراضي العبيد عن خط الحرية، وفي شمال هذا الخط تقف نـساء بيضاوات البشرة يلوحن بأيديهن ترحيبا لمقدم هارييت، وهكذا حثت أشقاءها علـى محاولـة الهروب معها لاجتياز خط ماسون ديكسون – لكنهم جبنوا في الليلة الأولى وتركوها عائـدين أدراجهم- وهكذا مضت بمفردها إلى طريق الحرية والأمان..



لكنها ظلت تعاود قيادة مجموعات العبيد الهاربين من الجنوب إلـى الـشمال. وأنقـذت شقيقتها وأختها مع كثيرين غيرهم.

وأثناء هذا أجرت اتصالات مع بعض محرري العبيد من الشماليين وعلى رأسهم كويكر جريت – الذي كان منزله محطة لقطر الأنفاق يتوقف فيها العبيد الهاربون للراحة في طريقهم إلى الشمال.. وكانت هارييت تتخفى في ثياب امرأة عجوز متهالكة خوفًا من السلطات وأيضا من العبيد الخائفين، لهذا حملت مسدسا تهدد به أي عبد يبدي رغبته في العودة إلى العبودية.. وفي عام ١٨٥٧ حررت والديها المسنين وأحضرتهما إلى منزلها في أوبورن بنيويورك.. كما كانت تتولى الدعوة لحركة تحرير العبيد بين مناصريها من الشماليين، وبعد أن نجحـت فـي تحرير أكثر من ٧٥٠ عبدا أصبحت قصتها أسطورة تردد في الشمال أما في الجنـوب فقـد عرضت جائزة قدرها ٤٠ ألف دولار لمن يقبض عليها حية.. وفي أثنـاء الحـرب الأهليـة تطوعت في صفوف الجيش الاتحادي، وبعد انتهاء الحرب شرعت في تأسيس مدارس للزنوج المحررين في ولاية كارولينا الشمالية، وللأطفال الزنوج في مدينتها أوبورن – ثـم تزوجـت مرة ثانية وبعد وفاتها تحول منزلها إلى أول دار للزنوج المسنين والفقراء..



رائدة تحرير المرأة العربية

ولدت عام ١٨٧٩ وتوفيت عام ١٩٤٧ وما بين التاريخين نضال حافل وامـرأة ذكيـة كشعلة أوقدت في ظلام البدايات... فهي الرائدة الأولى والثائرة المناضلة أنها جزء من تاريخ المرأة والمرأة جزء من تاريخنا الحديث.. أما لماذا استحقت هدى ابنة محمـد سـلطان باشـا رئيس أول مجلس نيابي في مصر وحاكم الصعيد العام لقب "هدى مصر" أو جان دارك العرب وماذا فعلت هذه البنت المدللة لأب مشهور وأم تركية ليكتب عنها الكثير والعديد من الدراسات والكتب والمقالات والقصائد؟ وما الذي أنجزته لتصبح وبحق رائدة تحرير المرأة العربية التي طالما عانت من القهر لعدة قرون قبل مجيئها إلى الحياة؟

لقد توفي والدها الباشا وهي في الخامسة من عمرها فلم تتح لها فرصة سـماع أمجـاده السياسية ولكنها عرفتها فيما بعد.. أما الأم فهي تركية جميلة وقد حرصت على تعليم ابنتها في زمن لا مدارس فيه فقد كان تعليم البنات في ذلك الوقت يعد رجسا من عمل الشيطان وخروجا على المألوف من العادات والتقاليد؛ فأحضرت والدتها لها مدرسين خـصوصيين فـي البيـت لتتعلم على أيديهم العربية والتركية والفرنسية والموسيقى، وما لبثت هدى أن تعلمت كـل مـا يمكن أن تطمح إليه طفلة في مثل سنها من المعرفة في ذلك الوقت، وعندما ختمت القرآن في التاسعة من عمرها اعتقد الجميع أنها تمكنت من العلم، ولكنها تقول "لم أكن أسـتطيع قـراءة شيء غير القرآن فيها" ثم تزوجت وهي ما زالت تبلغ من العمر ١٣ عاما من علي الشعراوي فحملت اسمه وعرفت بـ "هدى شعراوي، وأنجبت ولدا وبنتًا ثم نظرت فيما حولها فوجـدت الكثير مما تريد إصلاحه من الأحوال التي لا ترضيها، وقررت أن تتبنـى قـضايا مجتمعهـا وعذاباته وأولها الزواج المبكر لأنها كافحت فيما بعد كفاحا مريرا لتحديد سن الـزواج لـدى الفتاة بست عشرة سنة بعد أن كانت سن الزواج غير مقيدة بحدود، وكان لها ذلك عام ١٩٢٤. كما كانت تعي تماما أن المرأة في مجتمعها مسحوقة الإرادة مهضومة الحقوق وأن الطفولة لا تجد الرعاية الكافية، وأن المواهب مهملة ضائعة لا تجد من يتبناها وينميها ويصقلها، ولهـذا فإنها في عام ١٩٠٧ أسست جمعية لرعاية الأطفال ثم في عام ١٩٠٨ طالبت جامعة القـاهرة بتخصيص قاعة للمحاضرات النسائية، وكان لها ذلك، ثم توالى إقبالها على تأسيس الجمعيـات ذات النفع العام، وهذا النشاط المتعدد أعدها إعدادا جيدا للـدور الكبـر كزعيمـة اجتماعيـة



وسياسية ولقد سئلت ذات مرة عن أنسب الوظائف للمرأة؛ فكانت إجابتهـا "إن كـل وظيفـة حكومية سواء كانت قومية أو اجتماعية خليقة بالرجل هي خليقة في الوقت نفسه بالمرأة".

كما قالت: "أن حق المرأة في الانتخاب هو حق طبيعي لا يجوز سلبه منها، ويجـب أن تقف المرأة مع الرجل وأن يكون لها ما له من حقوق".

كما كانت قدوة بارزة للنساء في البيوت وللناشئات المتعلمات في القيام بـأول مظـاهرة نسائية عام ١٩١٩ حينما طالبت مصر باستقلالها، واندلعت في الشارع المـصري جمـاهير المتظاهرين، وقامت هدى شعراوي التي كانت تساند "الوفد المصري" بتنظـيم أول مظـاهرة نسائية تخرج إلى الشارع وتطالب بالاستقلال، ورغم أن الكثيرين سخروا من المظاهرة وكتب فيها الشاعر حافظ إبراهيم:

خـــــرج الأوانـــــس يحـــــتججن

ورحـــــــت أرقـــــب جمعهـــــن

إلا أن الكثيرين صفقوا للنساء اللواتي أعلن أنهن مواطنات في بلد يبحث عن اسـتقلاله، وبهذا قوي دور هدى كما ازداد وعيها السياسي.

ولم تقنع المعلمة الأولى بما حققته من انتصارات لبنات جنسها في الـداخل وأرادت أن تعلنها على الصعيد الدولي ليعرف العالم المتحضر المكاسب الهائلـة التـي حققتهـا المـرأة المصرية فكانت سيدات مصر يخرجن منقبات وقد اختفى الوجه تماما، ثم حينما حان موعـد أول مؤتمر نسائي دعيت إليه في لندن سنة ١٩٢٣ فإنها مصر محجبة ولما وصلت إلى هناك شعرت بالنوايا الخبيثة للتشهير بالمرأة العربية المسلمة فرفعت نقابها وخرجت كما هـي فـي لباسها المحتشم؛ مما أصاب النساء الغربيات بالدهشة، وأخذن يتأملنها هي وابنتها، ويقلن "لكن وجوههن مثل وجوهنا" ورغم أن الصحف المصرية والمجتمع بأسره استنكر هذا التطـوير إذا كانت الشتائم تنهال على كل امرأة تخرج سافرة إلا أنها قبلت التحدي وتحملت ضغوطه، وكان هذا إيذانًا بسفور المرأة وبداية حياة جديدة لها. تتابعت المـؤتمرات وكثـر اشـتراك المـرأة المصرية فيها وقد حدث أثناء حضورها مؤتمر باريس أن لاحظت أن العلم المصري لم يكـن موجودا بين أعلام الدول المشتركة فلما أعطيت الكلمة وقفت ثائرة تعلن استنكارها وانسحابها من المؤتمر، ولكن رئيسة المؤتمر اعتذرت عن هذا الخطأ، وسرعان ما كان العلم المـصري يقف شامخًا وسط أعلام الدول.

وفي عام ١٩٢٢ توفي زوجها تاركًا لها ثروة طائلة أنفقت منها مبـالغ وافـرة علـى البعثات العلمية إلى الخارج، ومنحت منها للطبقات المحرومة وللموهوبين الـذين لا يجـدون فرصة للإبداع. ولأن هدى شعراوي أصبحت ترى أن النضال السياسي والاجتماعي لا يمكن



له أن يظل عشوائيا؛ فإنها تحركت لإنشاء أول اتحاد نسائي عربي وكان لها ذلك عـام ١٩٢٣ بل إنها أنفقت مبالغ كبيرة على دعم مطالب الاتحاد ومساندة أهدافه.

إن التاريخ لن ينسى كفاح هذه السيدة ودفاعها في مؤتمرات الاتحاد النسائي الدولي عن القضية المصرية حتى ظفرت في المؤتمر الذي عقد في برلين عام ١٩٢٩ وفي المؤتمر الذي عقد في تركيا عام ١٩٣٥ بقرار إلغاء الامتيازات الأجنبية في مصر، وبالإضافة إلى هذا فإن أمنيتها كانت أن تنجح الوحدة العربية وأن تكون وحدة قوامها مصلحة الشعوب العربية البحتة المنزهة عن كل الأهواء والأغراض البعيدة عن المؤثرات. وفي أول برلمان قـدمت مطالـب سياسية ونسائية تهدف إلى الاعتزاز بالقومية العربية وتحـرص علـى مناصـرة الـشعوب المهضومة، كما شغلت هدى نفسها بقضية فلسطين وطالبت بالدفاع عنها في أول مؤتمر نسائي من نوعه في عام ١٩٣٨ ثم أصيبت بنوبة قلبية عند تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ وكتبت كثيـرا حول ضرورة إشراك المرأة في حرب فلسطين مع الجيش لتقوية الروح المعنوية وهي بحـق كما وصفها الأستاذ عباس محمود العقاد بأم المحسنين وسيدة المجتمـع فـي ميـادين البـر والإحسان، ولعل من أبرز مواهبها الشخصية ولعها الشديد بالشعر؛ مما دفعها إلى الإقبال على ممارسته فنظمت القصائد بالعربية والفرنسية، ولكنها حفظتها في طي الكتمان ولم تـسمح إلا بنشر القليل منها. كما كانت مغرمة أيضا بالفن وكثيرا ما أنفقت أموالها على تشجيع الفنـانين وتبرعت بجائزة سنوية باسم جائزة "مختار" للمثال المصري الذي يصنع أحسن قطعة فنية في السنة وأرادت أن تحج إلى بيت ا الحرام وتم لها ما أرادت في عام ١٩٤٥ وكانت سـعادتها لا حد لها وهي ترى نتائج كفاحها طوال السنين قد أينعت ثمارها شيئًا فشيئًا.. وأخيرا بـدأت الشمعة تذبل ويتضاءل لهيبها وأخذ نورها يخبو شيئًا فشيئًا.. وفي يوم ١٢ من ديـسمبر سـنة ١٩٤٧ أسدل الستار نهائيا على حياة أول امرأة مصرية استطاعت في عهد الحجاب أن تقـود الجماعات وتتزعم المظاهرات وتواصل حملات المقاطعة وتتلقى رصاص المستعمر المحتـل بلا خوف، وقد شيعت هذه البطلة القومية بدموع النساء والأطفال وقصائد الـشعر... إذ قـال خليل مطران فيها:

مـصاب مـصر مـصاب العـالم العربـي

هل مدمع فـي ربـوع الـضاد لـم يـصب

وحينما يذكر تاريخ المرأة المصرية.. فلا بد أن يكتب اسـمها بحـروف مـن نـور.. كزعيمة للمرأة المصرية.. وكوطنية لها دور بارز في الدفاع عن قـضايا الـوطن وحريتـه واستقلاله..

وكرائدة لتحرير المرأة العربية.. وكبطلة وطنية في التاريخ...



تم الاستعانة في إعداد المادة التاريخية بالآتي:

١) **نساء عظيمات**: جوان مارلو.

٢) **هدى شعراوي**: مكتبة جمعية هدى شعراوي.

٣) **جميلة بوباشا**: تأليف: سيمون دي بوفوار - جيزيل حليمي ترجمة: محمد النقاش (دار العلم للملايين بيروت).

٤) **أشهر الملكات في التاريخ**: ليديا هويت فارمر (دار الكتاب العربي – دمشق)

٥) **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني (دار الكتب).

٦) **نساء شهيرات**: تأليف: كارولين بيرد ترجمة: حكمت بادير أبو الخير (مكتبة غريب).

٧) **الطب ورائداته المسلمات**: تأليف: د. عبد ا عبد الرازق سعيد مكتبة المنار – الأردن.

٨) **مئة أوائل من النساء**: تأليف: سليمان سليم البواب (دار الحكمة – دمشق)

٩) **نساء رائدات**: تأليف: إليكنا كلارك ترجمة: منيرة ناصف (مؤسسة سجل العرب).

١٠) **موسوعة المخترعات ١٩٨٨**: (المكتب المصري الحديث).

١١) دور المرأة في المجتمع الإسلامي: توفيق علي وهبة.

١٢) موسوعة أدباء أمريكا: د. نبيل راغب.

١٣) **قاموس المورد ٨٦**: الطبعة العشرون.

١٤) **قيثارة العرب أم كلثوم**: (مكتبة الجماهير – بيروت).

١٥) **تراث الغناء العربي**: (بين الموصلي وزرياب – وأم كلثوم وعبد الوهاب) تأليف: كمال النجمي (دار الشروق).

١٦) **أعلام النساء**: أ. عمر رضا كحلة.

كما تم الاستعانة بالصحف والمجلات العربية والأجنبية الآتية:

١) صحيفة الأهرام: مصر.

٢) صحيفة الأخبار: مصر.

٣) صحيفة الوفد: مصر.



٤) صحيفة الجمهورية: مصر.

٥) صحيفة الشرق الأوسط: السعودية.

٦) مجلة صباح الخير: مصر.

٧) مجلة الحياة: السعودية.

٨) مجلة تايم الأمريكية.

٩) بادي ماتش الفرنسية.

١٠) آخر ساعة: مصر

١١) مجلة المصور: مصر.

١٢) مجلة درة: دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٣) الجارديان: البريطانية.

١٤) كما تم الاستعانة أيضا بشبكة الإنترنت للمعلومات.



المؤلفة في سطور

- أديبة وكاتبة صحيفة.. كتب عن أدبها الإبـداعي كبـار النقـاد والأدبـاء المـصريين والعرب.. ونشرت قصصها في كبرى الصحف المصرية والعربيـة. كمـا ترجمـت قصصها إلى اللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية.
- اشتهرت باهتمامها بقضايا الثقافة العربية والعالمية.. كما قدمت العديد من أبرز وجـوه الثقافة العربية والعالمية للقارئ العربي من خلال حواراتها الأدبية المنشورة.
- اشتهرت باهتمامها بالقضايا الاجتماعية وبقضايا المرأة العربية والعالمية. كمـا مثلـت مصر في عدة مهرجانات ثقافية ومؤتمرات دولية.
- هي حاليا عضو في العديد من المنظمات الثقافية والنسائية.. فهـي عـضو بـالمجلس الأعلى للثقافة (لجنة الكتاب)... وعضو باتحاد الكتاب المصري، وعضو مجلـس إدارة جمعية الكاتبات المصريات وعضو بجمعية هدى شعراوي وعضو نقابة الصحفيين.
- حصلت على العديد من الجوائز الأدبية والصحفية وشهادات التكريم والتقدير لكتاباتهـا الإبداعية ولأنشطتها الثقافية ومنها:
- الجائزة الأولى في التغطية الثقافية من نقابة الصحفيين في عام (١٩٨٧).
- جائزة أفضل كتاب في فن القصة القصيرة من معرض القاهرة الدولي الثلاثون للكتـاب في عام ١٩٩٨ – عن مجموعتها القصصية "وجوه بلا رتوش".
- هي حاليا رئيس قسم الصفحة الأخيرة (بالمناوبة) بجريدة الأهرام...

كتب للمؤلفة

١- "وجوه بلا رتوش"... مجموعة قصص قصيرة.

٢- "عندما تثور النساء"... مجموعة قصص قصيرة.

٣- "لعبة الأقنعة"... مجموعة قصص قصيرة.

٤- "حياتي في ألف يوم ويوم".. سيرة ذاتية مترجمة عن اللغة الفرنسية.

تحت الطبع:

- للحب وقت آخر.. رواية..
- التاريخ... امرأة.. (الجزء الثاني).

